الصواعق المرسلة الشهابية

على

الشبه الداحضة الشامية

تأليف

العالم العلامة ، الحبر الفهامة

الشيخ سليمان بن سحمان

رحمه الله تعالى

طبع بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

سعود بن عبد العزيز

ملك المملكة العربية السعودية

أيده الله تعالى

١٣٧٦ - ١٩٥٦

مطابع الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا لسلوك صراطه المستقيم ، وجنبنا بفضله ورحمته طريق أصحاب الجحيم ، ومنّ علينا بمتابعة نبيّه الكريم فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وأصحابه الذين هم نجوم الهداية والدراية والتعليم ،

أما بعد : فاني وقفت على أوراق كتبها رجل من أهل الشام يقال له «محمد عطا الكسم » وكان ممن تجانف للعدوان والاثم ، جمع فيها من التّرهات والاكاذيب الموضوعات مايمج سماعه أولو العقول السليمة والالباب الزاكية المستقيمة ، وسماها الاقوال المرضية في الرد على الوهابية ، ورتبها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، وقد اشتملت مقدمته الكاذبة الخاطئة على الفاظ مبتدعة ومعانٍ وإشارات مخترعة وأقوال مختلفة مفترعة ، ليست من اقوال أهل الاسلام ، ولم يقل بها احد من الأئمة الاعلام ،وانما هي اوضاع الفلاسفة ومن وافقهم من أهل الكلام واهل الاتحاد الطغاة اللئام ومن وافقهم على اصولهم ممن يزعم أن معاني هذه الالفاظ حصلت له بطريق المشاهدة والمكاشفة التي هي عند التحقيق مكاشفة ، وان ذلك من الفتوحات الربانية والمواهب اللدنية ، وفي الحقيقة انما هي خيالات شيطانية ، واصطلاحات واوضاع فلسفية ، وخلف من بعدهم خلف على طريقتهم عبّروا عن هذه المعاني الفلسفية بعبارات اسلامية يخاطبون بها من لا يعرف معاني هذه الاوضاع ويجعلون مراد الله ورسوله من الآيات والاحاديث على ما ارادوا من معاني هذه الاوضاع ، التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الامة وأئمتها كما يذكر ابو حامد الغزالي في مواضع من الفرق بين عالم الملك والملكوت والجبروت وفي مواضع أخر ، قال فيها ان اشرف افعال الله واعجبها وأدلها على جلالة صانعها ، ما لا يظهر

الحس بل هو من عالم الملكوت ، وهي الملائكة الروحانية والروح والقلب ، اعني العارف بالله تعالى من جملة اجزاء الادمى فانها ايضاً من جملة عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك والشهادة .

قال شيخ الاسلام : ومعلوم أن ما جاء في الكتاب والسنة من لفظ الملكوت ، كقوله بيده ملكوت كل شيء ، وقوله ﷺ في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، لم يرد به هذا باتفاق المسلمين ، ولا دل كلام أحد من السلف والائمة على التقسيم الذي يذكرونه بهذه الالفاظ وهم يعبرون بهذه العبارات المعروفة عند المسلمين عن تلك المعاني التي تلقوها عن الفلاسفة وضعاً وضعوه ، ثم يريدون ان ينزلوا كلام الله تعالى ورسوله ﷺ على ما وضعوه من اللغة والاصطلاح انتهى .

وهذه المعاني التي ذكرها الفلاسفة يفسرون عالم الملك بعالم الاجسام ، وعالم الملكوت بعالم النفوس ، لانها باطن للاجسام ، وعالم الجبروت بالعقول ، لانها غير متصلة بالاجسام ولا متعلقة بها ، ومنهم من يعكس ، وقد يجعلون الاسلام والايمان والاحسان مطابقاً لهذه الامور .

والمقصود بهذا ان ماذكره هذا الملحد فيما يأتي من كلام القسطلاني ومابعده هو من هذا النمط المأخوذ عن الفلاسفة ومن وافقهم ، فلما لم يكن هذا من كلام أهل الاسلام ولم يذكره أحد من الائمة الاعلام ، وشبّه به هؤلاء الغلاة على الطغام من العوام ، ومن لا معرفة له بمدارك الاحكام ومعاني الكلام . استعنت الله تعالى على التنبيه على بعض ما في هذه الاوراق من المخرقة والشقاق ، وعلى كشف ما موه به من جواز الاستغاثة بالانبياء والاولياء والصالحين ، والتوسل بهم على اصطلاح هؤلاء الغلاة ، وما ذكر من الاحاديث في ذلك وأقوال أهل العلم ، مما هو موضوع مكذوب أو ضعيف لا يحتج به ولا تثبت به الحجة الشرعية ، وتركت كثيراً من كلامه مما هو متضمن للغلو والاطراء في حق نبينا ﷺ مما زعم أنه من تعظيمه وتوقيره ، وكذلك ماذكره عن السبكي في كتابه تعظيم المنة ، وما ذكره من المفاضلة بين الانبياء وبين

بينا ﷺ مما قد نهى عنه ﷺ ،واعقبت ذلك بذكر خاتمة في الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية واقوال بعض العلماء في معنى لا إله الا الله ، وسميت هذا الجواب «الصواعق المرسلة الوهابية على الشبهات الداحضة الشامية» واسأل الله تعالى ان يلهمنا الصواب وان يجزل لنا الاجر والثواب بمنه وكرمه .

فصل

قال الملحد أما بعد: فيقول خويدم طلبة العلم الفقير الى الله محمدعطا الكسم انه قد أخبرني بعض الاخوان انه قد اجتمع برجل من الوهابية يوسوس لاهل السنة المحمدية بتحريم التوسل بخير البرية عليه افضل الصلاة وأتم التحيـــة الى آخر ما قال .

والجواب وبالله التوفيق ان اقول : قد سبق هـذا الملحد الى تسمية عباد القبور أهل السنة المحمدية من أعمى الله بصيرة قلبه طاغية العراق داود بن جرجيس العراقي ، واجابه على ذلك الامام وعلم الهداة الاعلام الشيخ عبد اللطيف ، فنذكر من جوابه ما يبطل تسمية هذا الملحد عباد القبور أهل السنة المحمدية، قال رحمه الله تعالى . والجواب ان يقال اولاً : تسمية عباد القبور أهل سنة وجماعة جهل عظيم بحدود ما أنزل الله على رسوله ، وقلب للمسميات الشرعية وما يراد من الاسلام والايمان والشرك والكفر ، قال تعالى (الاعراب أشد كفراً ونفاقا واجدر أن لا يعلموا حـــدود ما أنزل الله على رسوله) وهذا وامثاله أجدر من اولئك بالجهل وعدم العلم بالحدود لغربة الاسلام ، وبعد العهد بآثار النبوة وأهل السنة والجماعة أهل الاسلام والتوحيد المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة الذين لم يشوبوها ببدع أهل الاهواء واهل الكلام في ابواب العلم والاعتقادات ولم يخرجوا عنها في باب العمل والارادات كما عليـــه جهال اهل الطرائق والعبادات ، فان السنة في الاصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وماسنه أو أمر به من اصول الدين وفروعه حتى الهدي والسمت ، ثم خصت في بعض

الاطلاقات بما كان عليه اهل السنة من اثبات الاسماء والصفات خلافاً للجهمية المعطلة النفاة ، وخصت باثبات القدر وبنفي الجبر خلافاً للقدرية النفاة وللقدرية الجبرية العُصاة ، وتطلق ايضاً على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الأمامة والتفضيل والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وهذا من اطلاق الاسم على بعض مسمياته لانهم يريدون بمثل هذا الاطلاق التنبيه على ان المسمى ركن اعظم وشرط اكبر ، كقوله الحج عرفة ، ولانه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم ، ولذلك سمى العلماء كتبهم في هذه الاصول كتب السنة ككتاب السنة للالكائي والسنة لابي بكر الاثرم ، والسنة للخلال ، والسنة لابن خزيمة والسنة لعبد الله بن احمد ومنهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم انتهى.

وهذا الملحد يرى ان اهل السنة المحمدية هم الذين يتوسلون ويدعون الانبياء والاولياء والصالحين ويلتجئون اليهم ويستغيثون بهم ويستعينون بهم في الشدائد والمهمات ، ويرجونهم لكشف الكربات واغاثة اللهفات ، ويتقربون اليهم بانواع القربات من الذبح لهم والنذر والخوف والتعظيم والدعاء والانابة اليهم والتوكل عليهم والخضوع لهم . ومن عجيب أمر هؤلاء الغلاة ما ذكره حسين بن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وليها : أما الله فقد صنع ماترى ولم يبق الا حسبك .

قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله : وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رحمه الله ، أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضى الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين ، فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين .

وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن إن مثل هذا وقع عندهم .

وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدي بالجامع الازهر ان بعض اعيان المدرسين هناك قال : لا يدق وتد بالقاهرة الا بأذن السيد احمد البدوي قال

فقلت له : هذا لا يكون الا لله او كلا ما نحو هذا ،فقال:حبي فيسيدي احمد البدوي اقتضي هذا .

وحكي أن رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال : لم أر اكثر منه الا في جبال عرفات الا اني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة ايام ، فقال السائل قد تحملها الشيخ ، قال بعض الافاضل وباب تحمل الشيخ ومصراعاه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقه وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد انتهى .

ولو ذهبنا نذكر ما يفعله عباد القبور والاولياء والصالحين لطال الكلام . فهؤلاء عند هذا الملحد أهل السنة والجماعة فنعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب .

إذا تحققت هذا وعرفته ، فقول هذا الملحد أنه قد اجتمع برجل من الوهابية يوسوس لأهل السنة المحمدية بتحريم التوسل بخير البرية مراده بالتوسل هنا أن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به والالتجاء اليه فيما لا يقدر عليه الا الله يسمى توسلا وتشفعاً ، وهذا فرار منه أن يسمى شركا وكفرا ، ومن المعلوم عند ذوي العلوم والفهوم أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح ، فمعناه في لغة الصحابة رضى الله عنهم وعرفهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل به والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه ، والتوسل له اقسام ، فقسم مشروع ، وهو التوسل بالاعمال الصالحة وبدعاء النبي ﷺ في حياته وطلب الاستغفار منه وبدعاء الصالحين وأهل الفضل والعلم كما استسقى عمر رضي الله عنه بدعاء العباس ومعاوية رضى الله عنهما بدعاء يزيد بن الاسود الجرشي ، وكذلك بالاعمال الصالحة ؛ وقسم محرم وبدعة مذمومة وهو التوسل بحق العبد وجاهه وحرمته نبياً كان ذلك أو وليا أو صالحا ، كأن يقول الانسان اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ أو بجاه عباد الله الصالحين أو بحقهم أو بحرمتهم ، ونحو ذلك لأن ذلك لم يرد به نص عن رسول الله ﷺ ولا فعله احد من الصحابة ولا

التابعين رضي الله عنهم . فإذا عرفت أن معنى التوسل في لغـة الصحابة طلب الدعاء ، وان هذا هو المشروع ، وان ما عداه إما شرك أو محرم أو مكروه مبتدع ، عرفت ان قصد هؤلاء بالتوسل هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين، وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع انواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والنذر والتوكل والاستغاثة والاستعانـــة والاستشفاع بهم وطلب الحوائج من الولائج في المهمات والملمات وكشف الكربات واغاثـة اللهفات ومعافاة أولي العاهات والبليات ، الى غير ذلك من الامور التي صرفها المشركون لغير فاطر الارض والسموات ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه ، فمن صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله ، فهو كافر مشرك باجماع المسلمين ، كما ذكر ذلك شيخ الاسلام وغيره من العلماء .

فصل

ثم قال الملحد: ولكن من فرط المحبـة لهذا المحبوب الذي هو صفوة علاّم الغيوب الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب .

والجواب ان يقال : ان قول هذا الملحد الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب ، كلام متضمن لغاية الغلو والأطراء الذي وقعت فيه النصارى وامثالهم وهو مناف لقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وقوله تعالى (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) وقوله تعالى (قل اني لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا) الآية وللحديث الصحيح حيث قال لابنته فاطمة وأحب الناس اليه « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا » فتأمل ما بين هذه النصوص وبين قول هذا الملحد من التضاد والتباين ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى وذكره رسوله ﷺ كقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وتأمل ماذكره العلماء في سبب نزولها وامثال

هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير ؛ ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذباً وأضلّ الناس بغير علم .

فصل

ثم قال الملحد : قال القسطلاني في المواهب اللّدنية ، اعلم يا ذا العقل السليم والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم وفقني الله واياك لهداية الصراط المستقيم ، انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من لانوار الصمدية في الحضرة الأحدية ، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق ارادته وعلمه ، ثم أعلمه تعالى بنبوته وبشّره برسالته ، هذا وآدم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد ، ثم انبجست منه ﷺ عيون الارواح ، قال الشارح الامام الزرقاني اي : تفجرت منه ﷺ عيون الارواح أي : خالصها كارواح الانبياء ، والمراد بالعيون الكمالات المفرغة من نوره على ارواح الانبياء عبّر عنها بالعيون مجازاً لمشابهتها لعيون الانسان للكمال .

والجواب ومن الله استمد الصواب ان نقول : هذا كلام مخترع مبتدع ، لم يقل به احد ممن يعتد بقوله من اهل الاسلام ، ولم ينقله احد من العلماء الامناء عن الأئمة الاعلام وليس هو في شيء من الكتب المعروفة المشهورة ، كالصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من الكتب المعتمدة ، بل هو من الترهات التي يحكيها هؤلاء الغلاة المتهوكون ، الحيارى المفتونون ، الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين ، وليسوا من حملة سنة سيد المرسلين ولا لهم معرفة بمدارك الاحكام ولا اقوال اهل السنة أئمة الاسلام ، وانما ينقلون مثل هذه الحكايات التي لا اصل لها في الكتاب والسنة عن مثل القسطلاني وغيره ، ويغترون بها فضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، إذ ليس لهم في ذلك مستند ولا حجة من البرهان والدليل ، بل هذا مقتبس من اقوال الفلاسفة ومن نحا نحوهم من المتكلمين .

ومن المعلوم بالضرورة ان ما حكاه هذا الملحد عن القسطلاني ان كان صحيحا لايدرك معرفة ذلك على التحقيق الا من مشكاة النبوة بنقل حملة السنة والقرآن أهل المعرفة والحفظ والاتقان ولا خبر بذلك بنقل صحيح عن رسول الله ﷺ يجب المصير اليه ، فما كان هذا سبيله فهو مطرح ساقط لايلتفت اليه ولا يعول في الحكم عليه إذ هو من الترهات الواهية التي هي عن الدليل عارية بل هو مصادم لصريح الكتاب والسنة كما سنبينه ان شاء الله تعالى . قال تعالى (يا ايها الناس انّا خلقناكم من ذكر وانثى) وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن ، فدل على ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين ، وأصرح منه (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق اصله ، وفي الموطأ حدثنا يزيد بن ابي انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: « خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته ، فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون ، وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون » فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال الجنة فيدخل به الجنة ، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من اعمال النار فيدخل به النار ، قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم ، وروى الحاكم ايضاً من طريق هشام بن زيد عن زيد بن اسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة مرفوعاً لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خلقها الى يوم القيامة أمثال الذر ، ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب ؟ فقال هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا ؟ فقال : هذا ابنك داود يكون في آخر الامم ، قال كم

جعلت له من العمر ؟ قال : ستين سنة ، قال يارب زده من عمري اربعين سنة فقال الله اذا يكتب فيختم فلا يبدّل ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمري اربعون سنة ؟ فقال أو لم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ، ونسي فنسيت ذريته ، وخطأ فخطئت ذريته » قال هذا على شرط مسلم . وفي صحيح الحاكم من حديث ابي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن انيس عن ابي العالية عن أبي ابن كعب في قوله(واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية قال جمعهم له يومئذ جمعا ما هو كائن الى يوم القيامة فجعلهم أرواحاً ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، قال : فاني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع ، واشهد عليكم أباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئا ، فاني ارسل اليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتبي ، فقالوا نشهد انك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ورفع لهم ابوهم آدم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك ، فقال يا رب لو سويت بين عبادك ، فقال اني أحب ان اشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج ، وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهو قوله (هذا نذير من النذر الاولى) وقوله (وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والمقصود مما ذكرنا ان آدم رأى فيهم الانبياء مثل السرج وذلك بعد اخراجهم من صُلبه ،فهذا فيه دلالة ظاهرة على بطلان من زعم انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ، أبرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الأحدية ، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ، ثم انبجست منه ﷺ عيون الارواح فعلى زعم هذا القائل ان الله لم يخلق جميع

النوع الانساني الا من نور محمد ، وان الملائكه مخلوقون من نوره وعلى هذا فلا معنى لقوله تعالى . (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) وقوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) وان هذه الاحاديث لا دلالة فيها ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

اذا عرفت هذا فهذه الاحاديث لا تدل على سبق الارواح الاجساد سبقاً مستقراً ثابتاً ، غايتها انها تدل بعد صحتها وثبوتها على ان بارئها وفاطرها سبحانه صوّر النسم وقدر خلقها وآجالها وأعمالها ، واستخرج تلك الصور من مادتها ، ثم أعادها اليها ، وقدّر خروج كل فرد من افرادها في وقته المقدر له ، وهذا هو المطلوب ولا تدل على انها خلقت خلقاً مستقراً ثم استقرت بوجوده حية عاقلة ناطقة كلها في موضع واحد ، ثم يرسل منها الى الابدان جملة بعد جملة كما يقول محمد بن حزم : نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة على الوجه الذي سبق به التقدير اولاً فيجيء الخلق الخارجي مطابقاً للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته ، فأنه قدّر لها اقداراً وآجالاً وصفاتاً وهيئة ثم أبرزها الى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذي قدّره الله لها لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، فالآثار المذكورة في هذا الباب اما تدل على اثبات القدر السابق وبعضها يدل على انه سبحانه استخرج أمثالهم وصوّرهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة انتهى ملخصاً من كتاب الروح لابن القيم رحمه الله تعالى .

ثم قال بعد ذلك فهذا بعض كلام السلف والخلف في هذه الآية وعلى كل تقدير فلا يدل على خلق الارواح قبل الاجساد خلقاً مستقراً ، وانما غايته ان تدل على اخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ، ثم ردهم الى أصلهم ان صح الخبر بذلك ، والذي صح انما هو اثبات القـــدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد انتهى .

فتحصل لنا مما ذكر من كلام السلف إبطال دعوى من ادعى أن ارواح الانبياء مخلوقة من نور محمد ﷺ قبل خلق السموات والارض وقبل العرش

والقلم واللوح وأن جميع المخلوقات تفرعت جزءاً بعد جزء وخلقاً بعد خلق أنسها وجنها وجنتها ونارها ، وحتى الملائكة من نور محمد ﷺ، وهذا مما يعلم بضرورة العقل ان هذا من الكذب والحكايات التي لا أصل لها بل الذي ثبت عن النبي ﷺ ان الله قدّر مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ، ففي صحيح مسلم من حديث ابن وهب اخبرني ابو هاني الخولاني عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء » .

وهذا الملحد يزعم ان الحقيقة المحمدية أبرزت من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية قبل خلق العرش والماء والقلم الذي كتب مقادير كل شيء قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة ، وهذا مناف لصريح الكتاب والسنة ومناقض لهما أشد المناقضة وهذه الترهات مقتبسة من كلام ابن عربي صاحب الفصوص الذي هو من اكفر خلق الله ، فانه ذكر في الفتوحات من نمط هذا وفي الفصوص في اثناء كلام له قال فيه : فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع ، فكل نبي من بني آدم الى اخر نبي ، ما منهم احد يأخذ الا من مشكاه خاتم النبيين ، وان تأخر وجود طينته ، فانه بحقيقته موجود وهو قوله « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وغيره ما كان نبياً الى حين بعث وكذلك خاتم الأولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين وغيره من الاولياء ما كان ولياً الا بعد تحصيل شرائط الولاية من الاخلاق الالهية في الاتصاف بها من كون الله تسمى بالولي الحميد الى اخر كلامه ، وبهذا تعلم انهم انما حذوا حذوه وقفوا أثره ، مع ان قوله « كنت نبيا وادم بين الماء والطين » مما يرويه العوام ، وهذا باطل واللفظ المعروف بين الروح والجسد ، لان بين الماء والطين مرتبة ، وكذلك قوله : وغيره ما كان نبياً الى حين بعث ، ونه مخالف لقول ﷺ « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ، واقوله في حديث ابي بن كعب المتقدم ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصّوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة الى آخره .

وهؤلاء الغلاة يظنون انهم بهذه الترهات معظمين الرسول ، وهم بهذه الامور ضارعوا النصارى في الغلو والاطراء ، ويزعمون انهم بهذا الغلو قد بالغوا في تعظيمه ﷺ وتوقيره وتبجيله وتعزيره ، وحاشا وكلا بل هو مما يكرهه ﷺ ويسخطه وينهى عنه كما قال ﷺ « لا تطروني كما اطرت النصارى بن مريم انما انا عبد فقالوا عبد الله ورسوله » اخرجاه في الصحيحين ، وقوله ﷺ لما قيل له ياسيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال : « يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان انا محمد عبد الله ورسو ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » وانما كره ذلك ﷺ خشية ان يستجرينهم الشيطان في المبالغة في المدح والثناء فيخرج بهم الى حد الاطراء فأرشدهم ﷺ الى الأدب في الألفاظ ، وعلمهم كيفية الثناء عليه بأن يقولوا عبد الله ورسوله .

فتبين من هذا الحديث ان أشرف مقامات النبي ﷺ مقام العبودية والرسالة ولذلك شرفه الله بهما في مقام التحدي وغيره ، فقال تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) الآية وقال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) الآية وقال تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) وقال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال تعالى (محمد رسول الله) وقال تعالى (وانه لما قام عبد الله يدعوه) الآية . فتعظيمه ﷺ انما هو بطاعته وامتثال أمره والانتهاء عما نهى عنه ولزوم متابعته وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق بهديه وسنته ، فصلوات الله وسلامه عليه كما نصح الامة وكشف الغمة وأدى الامانة وبلّغ الرسالة وقطع الوسيلة والذريعة المفضية الى مجاوزة الحد بالغلو والاطراء في مدحه والثناء عليه كما اطرت النصارى عيسى بن مريم وغلت فيه حتى تجاوزت الحد بدعواهم الهيته وانه هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا .

وقد تجاوز الحد في مدحه والثناء عليه من هذه الامة أناس ضاهوا النصارى كما قال دحلان في كتابه الذي سماه الدّرر السنية فقال : نعم يجب علينا ان

لا نصفه بشيء من صفات الربوبيــة فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات ورحم الله البوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهمو　　　واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

انتهى . وهـذا ليس من التعظيم المشروع في شيء بل هو من صرف خالص حق الله لغيره فان دعاء غير الله والنحر له والنذر له والاستغاثة به والالتجاء اليه والطواف له والسجدة له والركوع له وغيرها من أنواع العباد كفر وشرك مع انها تعظيم بغير صفات الربوبية بل الذي يجب علينا ان لا نعبد غير الله بقسم من أقسام العبادة المتقدم ذكرها وان لا نفعل ما نهى الله عنـه ورسوله وان لا نحدث في أمر الدين شيئاً ، قال الله تعالى (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) وقال تعالى(ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين)قال تعالى(وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الى غير ذلك من الآيات الدالة على إفراد الله تعالى بالعبادة دون ما سواه كائنا من كان .

فصل

قال الملحد وروى عبد الرازق بسنده عن جابر بن عبـد الله الانصاري رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله بأبي وأمي اخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء . قال : ياجابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس فلما أراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الاول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثـالث باقي الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة

أجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله الى آخره .

والجواب أن يقال : هذا حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ مخالف لصريح الكتاب والسنة وهذا الحديث لا يوجد في شيء من الكتب المعتمدة ، وإنما يوجد مثل هذا في الكتب المصنفة في شرح الخصائص والشمائل وفي بعض الكتب كما يذكر أمثال ذلك أبو نعيم وابن عساكر وأبو حامد الغزالى وابن أبي الدنيا في جزء التفكر والاعتبار من الاحاديث الموضوعة المكذوبة ، ولا حاجة بأهل الاسلام الى شيء مما يتعلق بخصائص النبي ﷺ وشمائله وفضائله من هذه الموضوعات ، وفيما ذكره أهل العلم بالله من حملة السنة والقرآن وأهل الحفظ والاتقان من خصائص النبي وفضائله ومعجزاته وشمائله مما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ مقنع عما يذكره هؤلاء من الاكاذيب الموضوعة والاحاديث المصنوعة ، فمن ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « فضلت على الانبياء بست ، اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون » وروى الامام احمد والنسائي من حديث البراء قال : لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك الى رسول الله ﷺ وجاء فأخذ المعول فقال : بسم الله ثم ضرب ضربة فقطع ثلثا قال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال : الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المدائن الابيض الآن ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع باقي الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر أبواب صنعاء من مكاني ، وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول « اني ابرأ الى الله أن يكون لى منكم خليلا فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ

ابراهيم خليلا ولو كنت متخـذا من أمتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلـكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك ، وله من المعجزات والفضائل والخصائص ما ليس لغيره من الانبيـاء ممـــا لا يحصى ولا يستقصى ، ومن أعظم ماخصه الله به من الفضائل المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون ، قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله على قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) قال يقعده معه على العرش وله في القيامة ثلاث شفاعات أما الشفاعة الاولى فيشفع لاهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الانبياء آدم ونوح وابراهيم وموسي وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهى اليه ، وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهـل الجنة ان يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له ، وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار وهـذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم يشفع فيمن استحق النار ان لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها ان يخرج منها ، وله الحوض المورود في عرصات القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وهو أول من يفتح له باب الجنة ، وأول من يدخل الجنة من الامم أمته ، والمقصود من هذا ان قول هذا الملحد فيما أورده عن القسطلاني من تلك الحكاية وما ذكره من هـذا الحديث الموضوع ان أول ما خلق الله من الاشياء نور محمد ﷺ وان جميع المخلوقات خلقت من نوره حتى النار، وان هذا مناقض لما ذكره الله في كتابه وعلى لسان رسوله في سنته .

ولو كان حقاً وثابتا أو كان من الفضائل والخصائص لذكره أهل الصحاح والمساند والسنن وغيرها من الكتب المعتمدة ، ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن هـــذا من الكذب الذي لا يمتري فيه عاقل فضلا عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه ورسوله وسنة نبيه ، واذا كان نور رسول الله ﷺ على زعم هؤلاء مخلوقاً من نور ، فمن المعلوم بصريح النقل أن الملائكة

مخلوقون من النور أيضاً كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » وفي تفسير الحافظ أبي بكر احمد بن موسى بن مردويه من حديث حماد بن سلمة حدثنا الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرر عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود « ان ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار ونور السموات من نور وجهه » الحديث الى آخره .

ونهى العلماء عن استقبال الشمس والقمر ببول أو غائط لما فيهما من نور الله ، فاذا كان ذلك كذلك فما خاصية رسول الله ﷺ بذلك وامتيازه عن هذه المخلوقات ؟ اذ من المعلوم بالضرورة ان الله خلق آدم من صلصال كالفخار ، وقد فضله الله على الملائكة وهم مخلوقون من نور ، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم ، وآدم عليه السلام فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وقد ذكر ﷺ في الحديث السابق ان الملائكة خلقت من نور ولم يقل خلقت من نور محمد فدل على أن هذا كذب عليه ، وقد قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وثبت بالاسناد الذي على شرط الصحيح عن عبد الله بن عمر انه قال : قالت الملائكة ياربنا قد جعلت لبني آدم الدنيا يأكلون ويشربون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا ، فقال : لا افعل ثم أعادوا عليه ، فقال : لا أفعل ثم أعادوا عليه ، فقال : وعزتي لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان » فاذا ثبت ان الملائكة مخلوقون من نور وان الله خلق آدم وذريته من صلصال من حمأ مسنون وأقسم بعزته جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ان من خلق بيده أفضل من الملائكة المخلوقين من النور ، وانه لا يجعل صالح ذريته كالملائكة ، وقال عبد الله بن سلام « ماخلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ فقيل له : يا أبا يوسف ولا جبرائيل ولا ميكائيل ؟ فقال يابن أخي او تعرف ماجبرائيل وميكائيل ؟ انما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر مثل الشمس والقمر ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد » وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ

رسول الله ﷺ بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » فتبين من هذا الحديث ان خلق النور يوم الاربعاء ، وآدم خلق بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق .

وقد ثبت أن نبينا ﷺ قال « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » فكيف يصح في الاذهان أن يكون آدم مخلوقاً من نور أفضل ولده ؟ وقد أخبرنا الله في كتابه وعلى لسان رسوله ان الله خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون ، أو تكون النار التي هي محل غضبه وسخطه مخلوقة من نور محمد ؟

وقد ثبت ان الله خلق النار قبل ان يخلق آدم وذريته .

ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان نور الله الذي هو صفته غير مخلوق ، وليس من الله شيء مخلوق ، وانما تكون الاشيـــاء وتخلق بأمره وتكوينه وأفعاله سبحانه وبحمده انما امره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

فإذا عرفت هذا عرفت أن ما ذكره القسطلاني لا يصح وان هذا الحديث موضوع مكذوب ، واذا كان ذلك كذلك تبين لك انه لم يكن قبـل خلق آدم خلق من ذريته يسمى عالم الغيب لا أرواح ذريته من الانبياء ولا غيرهم .

فإذا عرفت هذا فنذكر هنا من الاحاديث الصحيحة ما يبطل دعوى هؤلاء الوضاعين الغلاة وان الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ ان أول ما خلق الله تعالى من الاشياء العرش أو القلم كما ذكره أهل العلم .

قال شيخ الاسلام : الوجـه التاسع انه قد ذكرنا ان للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكره الحافظ ابو العلا الهمداني وغيره أحدهما : أن القلم خلق أولا ، كما أطلق ذلك غير واحد ، وذلك هو الذي يفهم في الظاهر في كتب من صنف في الاوائل كالحافظ أبي عروبة وابن أبي معشر

الحراني وأبي القاسم الطبراني للحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عبادة ابن الصامت انه قال: يابني انك لن تجدطعم الايمان حتى تعلم انما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال يارب وماذا أكتب؟ قال أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات على غير هذا فليس مني » .

والثاني : ان العرش خلق أولا ، قال الامام عثمان بن سعيد الدارمى في مصنفه في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدي انبأنا سفيان الثوري حدثنا ابو هاشم عن مجاهـــد عن بن عباس قال ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فأمره ان يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، ورواه أيضاً ابو القاسم اللالكائي في كتابه في شرح أصول السنة من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال: قيل لابن عباس أن ناساً يقولون في القدر قال : يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه اي لآخذن بناصيته ان الله كان على عرشه قبل ان يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ماهو كائن الى يوم القيامة وانما يجري الناس على أمر قد فرغ منـه ، وكذلك روي الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات لما ذكر بدء الخلق فذكر حديث عبد الله بن عمرو عن عمران ابن حصين وغيرهما ، وسنذكر هذين الحديثين ان شاء الله تعالى ، ثم ذكر حديث الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه سئل عن قول الله تعالى (وكان عرشه على المـاء) على اي شيء كان ؟ قال : على متن الريح ، وروى حديث القاسم بن ابي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله ﷺ قال: «ان اول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء يكون » قال البيهقي ويروي ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعاً ، قال البيهقي وانما أراد والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش والقلم ، وذلك بين في حديث عمران بن حصين ثم خلق السموات والارض ،

وفي حديث أبي ضبيان عن ابن عباس موقوفاً عليه ثم خلق النون فدحى الارض عليها وروى باسناده الحديث المعروف عن وكيع عن الاعمش عن ابي ضبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله من شيء القلم فقال له اكتب فقال يارب ما اكتب ؟قال اكتب القدر قال فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم الى قيام الساعة قال ثم خلق النون فدحى الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال وانها لتفتخر على الارض الى يوم القيمة ، قلت حديث عمران بن حصين الذى ذكر هو ما رواه البخاري من غير وجه منها ما رواه في كتاب التوحيد في(باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) قال ابو العالية استوى الى السماء ارتفع ، وقال مجاهد استوى على العرش وذكر من حديث أبي حمزة عن الاعمش عن صفوان ابن محرز عن عمران بن حصين قال انى عند النبي ﷺ اذ جاءه قوم من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قد قبلنا جئناك لنفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ، قال : كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ، ثم أتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت انها قد ذهبت ولم أقم ، رواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده .

وعن عثمان بن سعيد وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن ابي اسحاق الفزواري عن الاعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال اتيت النبي ﷺ فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت ، فاتاه نفر من بنى تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا : بشرتنا فأعطنا فجاء نفر من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها اخوانكم من بنى تميم فقالوا : قبلنا يارسول الله اتيناك لنفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر كيف كان قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب في

الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض قال ثم اتاني رجل فقال : ادرك ناقتك قال فذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب ، وايم الله لوددت اني تركتها ، ففي هذا الحديث الصحيح بيان انه كتب الذكر ما كتبه بعد ان كان عرشه على الماء وقبـل ان يخلق السموات والارض فتبين من هذه الاحاديث الصحيحة أن هذا الحديث الذي ذكره الملحد موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ ، وان أول ما خلق الله العرش على الصحيح كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

واذكر حديث السبق للتقدير والتو ... قيت قبـل جميع ذى الاعيان
خمسين الفا من سنين عدها الـ ... مختار سابقة لذى الاكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من ... قبل السنين بمـدة وزمان
والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديّان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند ابي العلا الهمدانى
والحق ان العرش قبـل لأنه ... قبل الكتابة كان ذا اركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت ... ايجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا ... فغـدا بامر الله ذا جريان
فجرى بما هو كائن ابدا الى ... يوم المعاد بقدرة الرحمان

وهؤلاء الجهلة يزعمون أن أول ما خلق الله من الاشياء نور محمد ﷺ ثم لما أراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ، وهذا مناقض ومناف لما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم كتب الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض ففي هذا الحديث أن كتب في الذكر بعد ان كان عرشه على الماء فصح أن العرش والماء مخلوقان قبل القلم ولو كان الله خلق نور محمد ﷺ قبل الاشياء لذكره في الحديث الصحيح ، وقد سألوه عن أول هذا الامر فاخبرهم ان الله كان ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على المـاء وذكر البيهقي فيما تقدم على حديث عبادة ان أول شيء خلقه الله بعد خلق

الماء والريح والعرش القلم ، قال : وذلك بين في حديث عمران ولم يذكر خلق نور محمد لا قبل العرش ولا القلم ولا بعده .

ثم ذكر هذا الملحد ان الله قسم الجزء الرابع اربعة أجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الارض ، وهذا مخالف للاحاديث كما في حديث أبي ضبيان عن ابن عباس قال أول ماخلق الله عز وجل القلم فذكره وفيه ثم خلق النون فدحى الارض عليها فارتفع بخار المـــاء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال ، فتبين من هذا الحديث ان خلق الارض قبل السماء كما قال تعالى (قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين) الى قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) الآية . وهذا الجاهل يقول ثم خلق من الجزء الاول السموات ومن الثاني الارض خـلاف ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، وخلاف ما نزل به القرآن ، وقال عثمان بن سعيد حدثنا عبد الله بن صالح المصرى ، حدثنا ابن لهيعة ورشدين بن سعد عن أبي عبد الرحمن الحبـلى عن عبد الله بن عمرو قال لما أراد الله تبارك وتعالى ان يخلق شيئاً اذ كان عرشه على الماء واذ الارض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه واثار ركامه ، فاخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداً فامر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من التربة الجبال ، وهذا الجاهل يقول ان الله خلق السموات والارض من الجزء الرابع من نور محمد سبحانك هذا بهتان عظيم .

فصل

وأما قول الملحد : اخرج الامام احمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وابو نعيم عن ميسرة الضبي قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد قال : المناوى في قوله متى كنت نبياً الحديث ،

ولم يقل انسانا ولا موجودا اشارة الي ان نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة ، فلما انتهى الزمان بالاسم الباطن الى وجود اسمه وارتباط الروح به ، انتقل الحكم الزماني في جريانه الى الاسم الظاهر ، فظهر بذاته جسما وروحا فكان الحكم له باطنا أولا في كل ما ظهر من الشرائع على ايدي الانبياء والرسل ثم صار له الحكم ظاهرا فنسخ كل شيء ابرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وان كان المشروع واحدا ، انتهى .

فالجواب ان يقال أما ما ذكره المناوى على هذا الحديث من قوله اشارة الى ان نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة الى آخره ، فهو من جنس الرموز والاشارات والاعتبار الذي سلكه المتصوفة من أهل السلوك ، ومن جنس ما يذكره صاحب الفصوص في الفتوحات ، ومن نمط ما يذكره أبو حامد الغزالي من الالفاظ المبتـــدعة المأخوذة عن الفلاسفة ، كلفظ عالم الغيب والملكوت ، وعالم الشهادة وغير ذلك من الالفاظ التي لا تذكر في شيء من الاحاديث ، وانما أصل هذه الالفاظ من وضع الفلاسفة واصطلاحاتهم ، فيعبر هؤلاء بهذه العبارات المأخوذة عن الفلاسفة ، ويجعلون مراد الله ورسوله ﷺ من الآيات والاحاديث على ما أرادوا من معاني هذه الالفاظ المخترعة التي تخالف كتاب الله وسنة ورسوله ، ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ، ومما جاء عن سيد الانام ، انه ليس قبل خلق السموات والارض خلق من بني آدم أرواحاً ، ولا غيرها يسمى عالم الغيب ، ولا يوجد ذلك في كلام أئمة الاسلام ، وهذا بناء من هؤلاء على ان الارواح مخلوقة قبل خلق السموات والارض ، وعليـــه وضع الوضاعون تفرع خلق جميع المخلوقات جزءاً بعد جزء من نور محمد ﷺ ، والذي ذكره أهل العلم من الاحاديث انما هو تقدير ما هو كائن الى يوم القيامة ، فان الله تعالى قدر مقادير الخلق وانقسام الخلق الى سعيد وشقي ، وميزهم قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح : أن الله كتب مقادير

الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء وسيأتى بيان ذلك فيما بعد انشاء الله تعالى ، ومن المعلوم ان رسول الله ﷺ ، قد كان نبياً في سابق علم الله قبل ان يخلق السموات والارض ، فان الله قدر ما هو كائن الى يوم القيامة ، ولم يكن ثم عالم غيب من الارواح لأرواح الانبياء ولا غيرهم من بنى آدم وهذا بخلاف ما قاله المناوي ، من ان نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب ، يعني أنه كان في أول الزمان في عالم الغيب روح موجودة بالاسم الباطن ، ثم انتهى الزمان بالاسم الباطن الى وحود جسمه وارتباط الروح به ، الى ان انتقل الحكم الزمانى في جريانه الى الاسم الظاهر ، فظهر بذاته جسما وروحاً ، ومستنده في ذلك الحديث الذي اخرجه البخاري في تاريخه ، واحمد والطبراني والحاكم والبيهقى وابونعيم ، عن ميسرة الضبى قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً قال : وآدم بين الروح والجسد . ومن المعلوم أن هذا الحديث مناف لما قاله المناوى فان ادم عليه السلام انما خلقه الله بعد خلق السموات والارض بعد العصر من يوم الجمعة اخر الخلق من اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل . ومعلوم ان خلق الزمان قبل خلق ادم بمدة طويلة ، وانما قال ﷺ كنت نبياً وادم بين الروح والجسد ، ولم يقل كنت نبياً في أول خلق الزمان بمعنى انه كان في أول خلق الزمان روحاً موجودة قبل خلق العرش والماء والريح والقلم ، وقبل خلق السموات والارض وقبل خلق أبيه ادم ، واخرج ﷺ في جملة من اخرج لما مسح الله ظهر ادم بيده فاستخرج ذريته كامثال الذر فعلم ان هذا الحديث مناقض لما قاله المناوى ومناف له قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى وعفا عنه :

فصل

واما الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن ابدانهـــا فمـن وجوه احدها ان خلق أبي البشر واصلهم كان هكذا ، فان الله سبحانه ارسل

جبرائيل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم نفخ فيه الروح بعد ان صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حياً ناطقاً ، ففي تفسير أبي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، لما فرغ الله من خلق ما احب استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً ، فوقع في حذره فقال ما أعطاني الله هـذا إلا لمزية لي ، وفي لفظ إلا لمزية لي على الملائكة ، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا ربنا وما يكون حال الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً ، قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيهـا ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : اني اعلم ما لا تعلمون يعني من شأن إبليس ، فبعث جبريل الى الارض يأتيه بطين منها ، فقالت الارض اعوذ بالله ان تقبض مني ، فرجع ولم يأخذ ، فقال : رب انها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعـاذت منه فأعاذها ، فبعث ملك الموت فعاذت منـه فقال : وأنا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ أمره ، فأخذ من وجه الارض وخلط ولم يأخذ واحداً فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به قبل الرب حتى عاد طينا لازبا ، واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ، ثم قال للملائكة إني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه ، ليقول له تكبرت عما عملت بيدي ، ولم اتكبر انا عنده فخلقه بشراً فـكان جسداً من طين اربعين سنة ، فمرت به الملائكة ففزعوا عنه لمـا رأوه وكان أشدهم منه فزعاً إبليس ، فكان يمـر به فيضربه فيصوّت الجسد كما يصوّت الفخار ، يكون له صلصلة ، فلذالك يقول من صلصال كالفخار ، ويقول لامر ما خلقت ، ودخل من فيه وخرج من دبره ، فقال للملائكة لا ترهبوا من هـذا فان ربكم صمدٌ ، وهذا جوف لئن

سلطت عليه لأهلكته ، فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح ، قال : اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، ولما نفخ فيه الروح دخل الروح في رأسه فعطس ، فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال : الحمد لله فقال الله : يرحمك ربك ، فلما دخل في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل ان تبلغ الروح رجليه فنهض عجلان الى ثمار الجنة فلذلك حين يقول خلق الانسان من عجل وذكر باقي الحديث ، وذكر يونس بن عبد الاعلى اخبرنا بن وهب قال : حدثنا بن زيد قال : لما خلق النار ذعرت منها الملائكة ذعراً شديداً . وقالوا ربنا لما خلقت هذه النار ولأي شيء خلقتها ؟ قال : لمن عصاني من خلقي ، ولم يكن الله خلق يومئذ الا الملائكة والارض وليس فيها خلق ، انما خلق ادم بعد ذلك ، وقرأ قوله (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) قال عمر بن الخطاب يارسول الله ليت ذلك الحين ثم قال وقالت الملائكة ويأتي علينا دهر نعصيك فيه لا يرون له خلقا غيرهم قال لا اني أريد ان اخلق في الارض خلقاً واجعل فيها خليفة . وذكر الحديث قال ابن اسحق : فيقال والله اعلم خلق الله ادم ثم وضعه ينظر اليه اربعين عاما قبل ان ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسه نار فيقال والله اعلم لما انتهى الروح الى رأسه عطس فقال الحمد لله فذكر الحديث فالقران والحديث . والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار وقالت لأى شيء خلقتها وهى ترى أرواح بنى آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولما كانت أرواح الكفار كلها تبعا لابليس بل كانت الارواح الكافرة مخلوقة قبل كفره فان الله سبحانه انما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن آدم وروحه ولم يكن قبل ذلك كافراً فكيف تكون الارواح قبله كافرة ومؤمنة وهو لم يكن اذ ذاك وهل حصل الكفر للأرواح الا بتزيينه واغوائه فالارواح

الكافرة انما حدثت بعد كفره إلا أن يقال كانت كلها مؤمنة ثم ارتدت بسببه والذى احتجوا به على تقدم خلق الارواح بخلاف ذلك ، وفي حديث أبي هريرة في خلق العالم الاخبار عن خلق اجناس العالم وتأخر خلق آدم الى يوم الجمعة ولو كانت الارواح مخلوقة قبل خلق الاجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة أيام فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الايام علم ان خلقها تابع لخلق الذرية ، وتمام الكلام في كتاب الروح فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه .

والمقصود أنه لم يكن هناك خلق يسمى عالم الغيب من بنى آدم ونبينا ﷺ اشرف نسمه واكرمها على الله من بني آدم فعلمنا قطعا ان تفريع هؤلاء على هذا الحديث غير صحيح مخالفا للكتاب والسنة وأقوال سلف الامة . والمقصود انه ذكر في الحديث الذي رواه عن الامام احمد والبخاري في تأريخه وغيرهما ممن رواه قوله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد وقد تقدم في كلام ابن القيم عن ابن اسحاق وغيره انه كان بين نفخ الروح في آدم وبين تصوير جسده اربعون سنة وهذا مناف لما قال المناوى ان نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب فان خلق الزمان كان قبل ان يخلق الله ادم بمدة طويلة اللهم إلا ان كان اراد انه في علم الله الذي كتبه حين كتب مقادير كل شيء قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اذا تحققت ذلك فلا يقال ان عالم الغيب هو علم الله لان علم الله صفة قائمة بذاته وهو غير مخلوق وما سوى الله من العالم فهو مخلوق عالم الغيب وعالم الشهادة وقد كان من المعلوم ان ادم عليه السلام انما خلق بعد خلق السموات والارض اخر المخلوقات بعد هذا العدد المذكور ونبينا ﷺ اكرم نسمة على الله من بني ادم وهو سيد ولد ادم فاذا عرفت هذا عرفت ان كلام المناوى من غلط ما يقوله أبو حامد الغزالي حيث قال : وأما الافعال فبحر متسعة اكنافه ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله وافعاله فكل ما سواه فعله لكن القرآن اشتمل على الخلق منها الواقع في عالم الشهادة كذكر السموات والكواكب والارض والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر

أصناف النبات وهي التى ظهرت للحس واشرف افعاله واعجبها وادلها على جلالة صانعها مالا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكية الروحانية والروح والقلب اعنى العارف بالله تعالى من جملة اجزاء الآدمي فانها أيضاً من جملة عالم الغيب والملكوت ، وخارج عن عالم الملك والشهادة ، وذكر كلاما لا حاجة بنا اليه ، لكن المقصود انه زعم ان الروح من جملة عالم الغيب والملكوت ، قال : شيخ الاسلام على هذا الكلام ، فهذا الكلام يستعظمه في بادىء الرأي ، أو مطلقا، من لم يعرف حقيقة ما جاء به الرسول ولم يعلم حقيقة الفلسفة التي طبق هذا الكلام عليها وعبر عنها بعبارات المسلمين .
فأما قول القائل ان القران اشتمل على الخلق ، وهي التي ظهرت للحس وأشرف أفعال الله تعالى مالا يظهر للحس ، يعنى ولم يشتمل القران عليه ، فهذا مع ما فيه من الغض بالقران ، وذكر اشتماله على القسم الناقص دون الكامل ، وتطرق أهل الالحاد الى الاستخفاف بما جاءت به الرسل ، هو كذب صريح يعلم صبيان المسلمين انه كذب على القران ، فان في القران من الاخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك مالا يخفى على أحد ، وهو اكثر من ان يذكرهنا ، وفي القران من الاخبار بصفات الملائكة وأصنافهم وأعمالهم مالا يهتدي هؤلاء الى عشره ، اذ ليس عندهم من ذلك إلا شيء قليل مجمل ، بل الرسول انما بعث ليخبرنا بالغيب والمؤمن من آمن بالغيب وماذكره من المشاهدات ، فانما ذكره اية ودلالة وبينة على ما أخبر به من الغيب ، فهذا وسيلة وذلك هو المقصود . ثم يقال انه انما ذكر الوسيلة ، ياسبحان الله اذا لم يكن الاخبار عن هذا القسم في هـــذا الكتاب الذي ليس تحت اديم السماء كتاب اشرف منه ، وعلم هذا لايوجد عن الرسول الذي هو أفضل خلق الله تعالى في كل شيء في العلم والتعليم وغير ذلك ، ايكون ذكره هذا في كلام ارسطوا وذويه ، وأصحاب رسائل اخوان الصفا ، وأمثال هؤلاء الذين يثبتون ذلك بأقيسة مشتملة على دعاوى مجردة ، لا نقل صحيح ولا عقل صريح . بل تشبه الاقيسة الطردية الخالية عن التأثير وتعود عند التحقيق الى خيالات

لاحقيقة لها في الخارج ، كما سنبينه ، وكذلك روح الانسان وقلبه في الكتاب والسنة من الاخبار عن ذلك مالا يحصيه الا الله . ثم تكلم على ما اخطأ فيه من ذكر الملائكة وما يتضمن ذلك ، والمقصود انما ذكره هذا الملحد عن المناوي ان كان النقل صحيحاً فهو من جنس مايذكره أبوحامد مما يعود حقيقة عند التحقيق الى خيالات لاحقيقة لها في الخارج .

وأما ماذكره من هذين الاسمين الشريفين فلا يدلان على ما ذكره لا لفظا ولا معنى ولا علاقة بينهما وبين ماذكره ولا ارتباط بوجه من الوجوه لا باشارة ولا بتلويح ولا بتصريح ، وقد فسرا علم الخلق بربه هذه الآية : قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) بانه هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء ، فقوله ﷺ « الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء » يدلان العبد على معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته وان العوالم كلها في قبضته وان السموات السبع والارضين السبع في يده كخردلة في يد العبد ، قال تعالى (واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس) وقال (والله من ورائهم محيط) ، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الأسمين الدالين على هذين المعنيين اسم العلو الدال على انه الظاهر وانه لا شيء فوقه واسم العظمة الدال على الاحاطة وأنه لا شيء دونه ، كما قال تعالى (وهو العلي الكبير) وقال تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) وهو تبارك وتعالى كما انه العالى فوق خلقه بذاته ، فليس فوقه شيء فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء ، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه وبطن فكان اقرب الى كل شيء من نفسه ، وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه وكل شيء في قبضته وليس في قبضة نفسه فهذا قرب الاحاطة العامة .

وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه فمعرفة هذه الاسماء الاربعة وهي الاول والآخر والظاهر والباطن هي اركان

العلم والمعرفة فحقيق بالعبد ان يبلغ في معرفتها الى حيث تنتهى به قواه وفهمه ، واعلم ان لك انت أولاً واخراً وظاهراً وباطنا بل كل شيء فله أول واخر وظاهر وباطن حتى الخطرة واللحظة والنفس وادنى من ذلك واكثر ، فأوليته عز وجل سابقة على أولية كل ما سواه ، واخريته ثابتة بعد اخرية كل ما سواه ، فأوليته سبقه بكل شيء ، واخريته بقاؤه بعد كل شيء ، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء ، ومعنى الظهور يقتضى العلو وظاهر الشيء هو ما علا منه واحاط بباطنه ، وبطونه سبحانه احاطته بكل شيء بحيث يكون اقرب اليه من نفسه ، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه وهى احاطتان زمانية ومكانية ، فاحاطة أوليته واخريته بالقبل والبعد فكل سابق انتهى الى اوليته وكل اخر انتهى الي اخريته فاحاطت اوليته واخريته بالاوائل والاواخر واحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر الاوالله فوقه ، وما من باطن الاوالله دونه وما من أول الاوالله قبله وما من اخر الا والله بعده ، فالاول قدمه والآخر دوامه والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فسبق كل شيء باوليته وبقى كل شيء باخريته وعلا كل شيء بظهوره ودنا عن كل شيء ببطونه فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا يحجب عنه ظاهر باطنا بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة والبعيد منه قريب والسر عنده علانية ، فهذه الاسماء الاربعة تشتمل على اركان التوحيد ، فهو الاول في اخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولا واخراً وظاهراً وباطناً ، انتهى ملخصا من سفر الهجرتين .

فتبين مما ذكرناه ان لا تعلق لهذين الاسمين الشريفين بشيء مما ذكره المناوي وانما هو من التفريعات والرموزات والاشارات التي لا حقيقة لها عند التحقيق ولا قوام لها بالثبات على الطريق وان زعموا ان هذا من علم المكاشفة فهو عند التحقيق مكاشفة .

فاذا عرفت هذا وتحققت انه لم يكن قبل خلق المخلوقات عالم من أرواح بني

ادم يسمى عالم الغيب وان أول ماخلق الله العرش والماء والريح ثم خلق القلم وكتب في الذكر كل شيء كائن الي يوم القيامة علمت يقينا أن ما ذكره القسطلاني والمناوي من الترهات والاكاذيب الموضوعات وان هذا الحديث المروي عن جابر كذب مختلق وان الصحيح الثابت عن رسول ﷺ هو التقدير السابق كما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب أخبرني ابو هاني الخولاني عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء » ورواه مسلم أيضاً من حديث حيوة ونافع ابن يزيد كلاهما عن ابي هاني الخولاني انه سمع ابا عبد الرحمن الحبلي انه سمع رسول الله ﷺ يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة » ورواه البيهقي ايضاً من حديث ابي مريم حدثنا الليث ونافع بن يزيد قالا حدثنا ابو هاني عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وعرشه على الماء بخمسين الف سنة » ففي هذا الحديث الصحيح مافي ذلك الحديث من انه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والارض ، لكن بين فيه مقدار السبق ان ذلك قبل السموات والارض بخمسين الف سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم لو كان ما ذكره المناوي والقسطلاني حقاً ثابتاً معلوماً عند أصحاب رسول ﷺ لذكره العباس بن عبد المطلب لما امتدح رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك ، ففي السيرة النبوية روي زحر بن حصن عن جده حميد ابن منهب قال سمعت جدي خزيم بن اوس بن حارثة يقول هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول يارسول الله اريد ان امدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال :

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر	انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف عليا تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الار ... ض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النـ ... ـور وسبل الرشاد نخترق

الظلال ظلال الجنة قال الله تعالى (ان المتقين في ظلال وعيون) والمستودع هو الموضع الذي كان آدم وحواء يخصفان فيه عليهما من ورق الجنة اي يضمان بعضه إلى بعض يستتران به ، ثم هبطت الى الدنيا في صلب آدم وانت لا بشر ولا مضغة ، وقوله تركب السفين يعنى في صلب نوح وصالب لغة غريبة في الصلب الفتحتان كسقم وسقم ، والطبق القرن أى كلما مضى عالم وقرن جاء قرن ، ولأن القرن يطبق الارض والنطق جمع نطاق وهو ما يشد به الوسط ومنه المنطقة أى انت اوسط قومك نسباً وجعله في عليا وجعلهم تحته نطاقاً ، وضاءت لغة في اضاءت انتهى .

وبهذا يعلم انه لم يكن عندهم اعني الصحابة رضي الله عنهم خصوصاً أهل بيته ان الله خلق نور محمد من نوره قبل ان يخلق الاشياء كلها ولا أن العرش واللوح والقلم والملائكة والجنة والنار وسائر المخلوقات خلقها الله من نور محمد جزءاً بعد جزء وخلقا بعد خلق .

ثم ذكر هذا الملحد كلاماً لا حاجة بنا إلى الجواب عنه .

فصل

قال الملحد : الباب الاول فى الآيات القرآنية الدالة على جواز التوسل به ، وذكر بعض الآيات التي قرن الله بها اسمه باسم النبي ﷺ وما يتعلق في بيان ذلك ، قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) وقال تعالى في شأن أهل أحد ، (فاعف

عنهم واستغفر لهم ، وقال تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) .

والجواب أن يقال : قد سبق هـذا الملحد إلى الاستدلال بهذه الآية من المشبهين اقوام وذكروا من الشبه نحو ما ذكره هذا وأكثر واعظم تلبيساً وتمويهاً واجابهم على ذلك الائمة الجهابذة الحفاظ الذين هم القدوة وبهم الاسوة وحسبنا ما ذكروه ووضحوه في هذه المسائل .

فقال الامام الحافظ المحقق ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي ، قدس الله روحه على ما ذكره السبكي ، فأما استدلاله بقوله تعـالى (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية . فالكلام فيها في مقامين (احدها) عدم دلالتها على مطلوبه (الثانية) بيان دلالتها على نقيضه ، وانما يتبين الامر ان بفهم الآية وما اريد بها وسيقت له ، وما فهمه منها اعلم الامة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف الا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم ، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء اذا ظلم نفسه واخبر انه من المنافقين . فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هـذه الآية انما هي في المنافق الذي رضي بحـكم كعب بن الاشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ ، فظلم نفسه بهذا اعظم ظلم ثم لم يجيء الى رسول الله ﷺ ليستغفر له ، فان المجيء اليه ليستغفر له توبة وتنصل من الذنب وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ ، ان احدهم متى صدرمنه مايقتضي التوبة جاء اليه فقال : يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، وكان هذا فرقاً بينهم وبين المنافقين ، فلما استأثر الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله من بين ظهورهم الى دار كرامته ، لم يكن احد منهم قط يأتي الى قبره ، ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هـذا عن احد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت وافترى على كل الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم خير القرون على الاطلاق حيث تركوا هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من امارات النفاق ، وكيف اغفل هـذا الامر

ائمة الاسلام وهداة الانام ، من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الامة ، فلم يدعوا إليه ولم يرشدوا اليه ولم يفعله احد منهم البتة ، ووفق له من لا يوبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم ، بل المنقول الثابت عنهم ماقد عرفت بما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهي عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية .

ولما كان هذا المنقول شجا في حلوق الغلاة وقذى في عيونهم وريبة في قلوبهم قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل ، ومن استحيا منهم من أهل العلم بالأثار قابله بالتحريف والتبديل ، ويأبي الله إلا أن يعلي منار الحق ويظهر أدلته ليهتدى المسترشد وتقوم الحجة على المعاند ، فيعلى الله بالحق من يشاء ويضع بردّه وبطره وغمص أهله من يشاء . ويالله العجب اكان ظلم الامة لأنفسها ونبيها حيّ بين اظهرها موجود ، وقد دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء ، فلما توفى ﷺ ارتفع ظلمها لانفسها بحيث لا يحتاج أحد منم الى المجيء اليه ليستغفر له ، وهذا يبين ان هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية ، تأويل باطل قطعا ولو كان حقاً لسبقونا اليه علما وعملا وارشادا ونصيحة ، ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة ، لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة ، فان هذا يتضمن انهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى اليه هذا المعترض المستأخر ، فكيف اذا كان التأويل بخلاف تأويلهم ويناقضه وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده ، وانما ننبه عليه بعض التنبيه . ومما يدل على بطلان تأويله قطعا أنه لا يشك مسلم ان من دعى الى رسول الله ﷺ في حياته ، وقد ظلم نفسه ليستغفر له فاعرض عن المجيء واباه مع قدرته عليه ، كان مذموما غاية الذم مغموصا بالنفاق ، ولا كان كذلك من دعى الى قبره ليستغفر له ، ومن سوى بين الامرين وبين المدعوين وبين الدعوتين ، فقد جاهر بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وامناء دينه غير الحق . وأما دلالة الآية على خلاف تأويلها ، فهو انه سبحانه صدّرها بقوله (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ،

ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، وهذا يدل على أن مجيئهم اليه ليستغفر لهم اذ ظلموا أنفسهم طاعة له ، ولهذا ذم من تخلف عن هـذه الطاعة ، ولم يقل مسلم ان على من ظلم نفسه بعـد موته أن يذهب الى قبره ويسأله ان يستغفر له ، ولو كان هذا طاعة له ، لـكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها ، ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة ، وهذا بخلاف قوله فلا(وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفى الايمان عمن لم يحكمه ، وتحكيمه ماجاء به حيا وميتا ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه ، يوضح ذلك انه قال « لاتجعلوا قبري عيدا» ، ولو كان يشرع لـكل مذنب أن يأتي الى قبره ليستغفر له لـكان القبر أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، انتهى .

وأما قول الملحد . وقال تعالى : في شأن أهل أحد (فاعف عنهم واستغفر لهم) وقال تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات). فنقول: هذا كان في حياته بأبي هو وأمي وقد فعل ما امره الله به ، واما بعد وفاته فحاشا وكلا ، ولو كان مشروعا بعد موته لامر به أمته وحضهم عليه ورغبهم فيه ، ولـكان الصحابة وتابعوهم باحسان ارغب شيء فيه واسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط ، وهم القدوة بنوع من نوع الاسانيد انه جاء الى قبره ليستغفر له ويشتكي اليه ويسأله ، والذي صح عنه من الصحابة مجيء القبر هو ابن عمر وحده ، انما كان يجيء للتسليم عليه ﷺ وعلى صاحبيه عند قدومه من سفر ، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً ، ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العمري الذي هو أجل أصحاب نافع مولى ابن عمر أو من أجلهم ، لا نعلم أحدا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك الا ابن عمر . ومعلوم انه لا هدي اكمل من هدى الصحابة ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، فمن خالفهم اما ان يكون اهدى منهم أو مرتكب لنوع بدعة ، كما قال عبـد الله بن مسعود : ـ لقوم رآهم اجتمعوا على ذكر يقولونه بينهم ـ لانتم اهدى من أصحاب محمد اوانـكم على شعبة ضلالة ، فتبين لو كان استغفاره لمن جاء مستغفرا بعـد موته

ممكنا أو مشروعا ، لكان كمال شفقته ورحمته بل رأفة مرسله ورحمته بالامة تقتضى ترغيبهم في ذلك وحظهم عليه ومبادرة خير القرون اليه ، انتهى .
وأما قوله فان قال : وهابيّ هذا في حياته ﷺ .

فالجواب ان نقول : نعم ، هذا قول الوهابيـــة وبه قال أهل العلم قديماً وحديثاً ، ولم يخالفهم الا كل مبتدع ضال مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، واجماع سلف الامة وأئمتها كما تقدم بيانه ، وأماقوله :فأقول قدانعقد الاجماع على حياته في قبره ﷺ .

فالجواب أن نقول دعوى هذا الملحد ان الاجماع انعقد على حياته في قبره ﷺ ، مصادمة لقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون) وقوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الآية . وقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) . ومن المعلوم انه لم يكن ﷺ حيا في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة التى تقوم فيها الروح بالبدن ، وتدبره وتصرفه ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك ، بل حياته ﷺ حياة برزخية وروحه في الرفيق الاعلى ، وكذلك أرواح الانبياء ، والارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ، فمنها أرواح في اعلا عليين في الملأ الاعلى ، وهي أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الاسراء ونبينا ﷺ في المنزلة العليا التي هي الوسيلة . قال ابن القيم : رحمه الله تعالى في كتاب الروح بعد كلام طويل : وقد بينا ان عرض مقعد الميت عليه من الجنة أوالنار ، لايدل على ان الروح في القبر ولاعلى فنائه دائما من جميع الوجوه بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه ، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده فان للروح شأنا آخر تكون في الرفيق الاعلى في أعلى عليين ، ولها اتّصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملإ الاعلى وانما يغلط اكثر الناس في هذا الموضع ، حيث يعتقد ان الروح من جنس مايعهد من الاجسام ، اذا شغلت مكانا لم يمكن ان تكون في غيره ،

وهذا غلط محض ، بل الروح تكون فوق السموات في أعلا عليين فترد الى القبر وترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها ، وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الاعلى دائما ، ويردها الله سبحانه وتعالى الى القبر فيرد السلام على من يسلم عليه ويسمع كلامه ، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة والسابعة ، فاما ان تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر ، وأما ان يكون متصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس ، وجرمها في السماء انتهى .

وقال ابن القيم : رحمه الله تعالى في « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » .

فصل

في الكلام في حياة الانبياء في قبورهم

ولاجل هذا رام ناصرقولكم	ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما	قدكان فوق الارض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك الترب والـ	ـبنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته	قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الارض بل من فوقها	والله هذي سنة الرحمن
أتراه تحت الارض حياً ثم لا	يفتيهمو بشرائع الايمان
ويريح أمته من الآراء والـ	ـخلاف العظيم وسائر البهتان
أم كان حيا عاجزاً عن نطقه	وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فهاالحياة اللاءقد	اثبتموها أوضحوا ببيان
هـــذا ولم لا جاءه أصحابه	يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم	حي يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم اثر بأن صحابه	سألوه فتيا وهو في الاكفان

فأجابهم بجواب حي ناطق　　فأتوا اذاً بالحق والبرهان
هلا اجابهمو جوابا شـافيا　　ان كان حيا ناطقـا بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الـ　　حجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على　　ارشادهم بطرائق التبيان
اتراه يشهد رأيهم وخلافهم　　ويكون للتبيان ذا كتمان
ان قلتموا سبق البيان صدقتمو　　قد كان بالتكرار ذا احسان
هذا وكم من أمرا شكل بعده　　اعنى على العلماء كل زمان
أو ما ترى الفاروق ود بانه　　قد كان منـه العهد ذا تبيان
بالجد في ميراثه وكلالة　　وببعض أبواب الربا الفتان
قد قصر الفاروق عند فريقكم　　اذ لم يسله وهو في الاكفان
اتراهمو يأتون حول ضريحه　　لسؤال امهمو أعز حصـان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسـ　　ـمهم ولا يأتي لهم ببيان
افكان يعجز ان يجيب بقوله　　ان كان حيا داخل البنيان
ياقومنا استحيوا من العقلاء والـ　　ـمبعوث بالقرآن والرحمان
والله لا قدر الرسول عرفتمو　　كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه　　فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد ابان الله ان رسوله　　ميت كما قد جاء في القرآن
افجاء ان الله باعثـه لنا　　في القبر قبل قيـامة الأبدان
اثلاث موتات تكون لرسـله　　ولغيرهم من خلقـه موتان
اذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ　　في الارض حيا قط بالبرهان
افهل يموت الرسل أم يبقوا اذا　　مات الورى أم هل لكم قولان
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـ　　ـئوا بالدليل فنحن ذو أذهان
أولم يقل من قبلكم للرافعي الا　　صوات حول القبر بالنكران
لاترفعو الاصوات حرمة عبده　　ميتا كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا إنه　　حي فغضوا الصوت بالاحسان

لكنهم بالله اعلم منكمو ورسوله وحقائق الايمان
ولقداتوا يوماً إلى العباس يسـ تسقون من قحط وجدب زمان
هـذا وبينهم وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
فنبيهم حي ويستسقون غـ ير نبيهم حاشا أولى الايمان

فصل

فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا بالعقل والايمان
وبأن عقد نسائه لم ينفسخ فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الازمان
أفليس في هـذا دليل أنه حي لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائماً في قبره لصلاة ذي القربان
أفميت يأتي الصلاة وإنّ ذا عين المحال وواضح البطلان
أو لم يقل اني اردّ على الذي يأتي بتسليم مع الاحسان
أيرد ميت السلام على الذي يأتي به هـذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم احياء في الاجداث ذا تبيان
وبأن أعمال العباد عليه تعـ رض دائماً في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشأن

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حجـ تنا عليكم وهي ذات بيان
ان الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الاركان

هـذا مع النهي المؤكد اننا ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده والمـال مقسوم على السهمان
هذا وان الارض تأكل لحمه وسباعها مع أمـة الدّيدان
لكنه مع ذاك حي فارح مستبشر بكرامة الرحمان
فالرسل أولى بالحياة لديه مع موت الجسوم وهذه الابدان
وهي الطرية في التراب وأكلها فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا أيضاً وقد وجدوه رأى عيان
فانظر الى قلب الدليل عليهمو حرفاً بحرف ظاهر التبيان
لكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فا خترن الرسول لصحة الايمان
شكر الاله لهن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أولئك رحمة منه بهن وشكر ذي الاحسان
وكذاك أيضاً قصرهن عليه مع لوم بلا شك ولا حسبان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الا خرى يقيناً واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعـده إذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن اتين بعـدة شرعيـة فيها الحدود وملزم الاوطان
هذا ورويته الكليم مصليا في قبره أثر عظيم الشان
في القلب منه حسيكة هل قاله فالحق ما قد قال ذو البرهان
ولذاك أعرض في الصحيح محمد عنه على عمد بلا نسيان
والدارقطني الامام اعـله برواية معلومة التبيان
أنس يقول رأى الكليم مصليا في قبره فاعجب لذا الفرقان
بين السياق إلى السياق تفاوتاً لا تطرحه فمـا هما سيان
لكن تقلد مسلم وسواه ممـن صح هـذا عنده ببيان
فرواته الاثبات أعلام الهدى حفاظ هذا الدين في الازمان
لكن هذا ليس مختصاً به والله ذو فضل وذو احسان

فروى ابن حبان الصدوق وغيره   خبراً صحيحاً عنده ذا شان
فيه صلاة العصر في قبر الذي   قد مات وهو محقق الايمان
فتمثل الشمس الذي قد كان ير   عاها لاجل صلاة ذى القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته   فيقول للملكين هل تدعان
حتى أصلي العصر قبل فواتها   قالا سنفعل ذاك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي   حكيت لنا بثبوته القولان
هذا وثابت البناني قد دعا الر   حمان دعوة صادق الايقان
ان لا يزال مصليا في قبره   ان كان اعطا ذاك من انسان
لكن رؤيته لموسى ليلة المع   راج فوق جميع ذي الاكوان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم   والقطع موجبه بلا نكران
ولذاك ظن معارضاً لصلاته   في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه اسرى به   ليراه ثم مشاهداً بعيـــان
فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا   بتناقض إذ امكن الوقتان
هـــذا ورد نبينا لسلام من   يأتي بتسليم مع الاحسان
ما ذاك مختصاً به أيضاً كما   قــد قاله المبعوث بالقرآن
من زار قبر أخ له فأتى بتس   ليم عليـــه وهو ذو ايمان
رد الاله عليـه حقا روحه   حتى يرد عليه رد بيان
وحديث ذكر حياتهم بقبورهم   لمـا يصح وظاهر النكران
فانظر إلى الاسناد تعرف حاله   إن كنت ذا علم بهذا الشان
هذا ونحن نقول هم احياء لـ   كن عندنا كحياة ذي الابدان
والترب تحتهمو وفوق رؤسهم   وعن الشمائل ثم عن أيمـــان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا   بالله من افك ومن بهتـــان
بل عند ربهمو تعالى مثلما   قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهمو اجل وحالهم   اعلى واكمل عند ذي الاحسان
هذا واما عرض اعمال العبا   د عليه فهو الحق ذو امكان

واتي به أثر فان صح الحـديث ... به فحق ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصـا به ... أيضـا بآثار روين حسان
فعلى ابي الانسان يعرض سعيه ... وعلى أقاربه مع الاخـوان
ان كان سعيا صالحا فرحوا به ... واستبشروا بالذة الفرحان
أو كان سـعيا سيئا حزنوا وقا ... لوا ربّ راجعـه الى الاحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى ... هذا الحـديث عقيبه بليان
يارب اني عائذ من خـزية ... اخزى بها عنـد القريب الدّان
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة الحـ ... ـبو بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي ... للمصطفى ما يعمل الثقلان
هذي نهايات لاقـدام الورى ... في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحق فيـه ليس تحمله عقو ... ل بني الزمان لغلظة الأذهان
ولجهلهم بالروح مع أحكامها ... وصـفاتها للألف بالابدان
فارض الذي رضي الاله لهم به ... اتريد تنقض حكمة الديان ؟
هل في عقولهمو بان الروح في ... أعلى الرفيـق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليـه من ... اتباعه في سـائر الازمان ؟
وكذاك ان زرت القبور مسلما ... ردت لهم أرواحهم للآن
فهمو يردون السلام عليك لـ ... كن لست تسمعه بذي الأذنان
هذا واجواف الطيور الخضر مسـ ... ـكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقـله هذا فلا ... تظلمه واعـذره على النكران
للروح شأن غير ذي الاجسام لا ... تهمله شان الروح اعجب شان
وهو الذي حار الورى فيـه فلم ... يعرفه غير الفـرد في الازمان
هذا وامر فوق ذا لو قلتـه ... بادرت بالانـكار والعـدوان
فلذاك امسكت العنان ولوارى ... ذاك الرفيق جريت في الميـدان
هذا وقولى انها مخـلوقة ... وحدوثها المعـلوم بالبرهان
هذا وقولى انهـا ليست كما ... قد قال أهل الافك والبهتـان

لا داخل فينا ولا هي خارج عنا كما قالوه في الديان
والله لا الرحمن اثبتم ولا أرواحكم يامدّعى العرفان
عطلتمو الابدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمان

وهذا الذي ذكره الحافظ شمس الدين هو مقتضى الكتاب والسنة وعليه سلف الامة وأئمتها وبما ذكره كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهوشهيد

فصل

قال الملحد : كيف لا وقد اخرج البخاري ومسلم وابوداود عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » فرؤيته يقظة اكبر دليل على حياته ﷺ .

والجواب ان يقال: هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وابو داود في سننه لا يدل على أن الرسول ﷺ يُرى يقظة في الدنيا كما كان يرى حيا قبل أن يموت وكذلك ليس بصريح في ان النبي ﷺ حي في قبره الحياة المعهودة في الدنيا ولا فيه دلالة على جواز التوسل به فضلا عن ان يدعا ويستغاث به ويرجى في كشف الشدائد والمهمات لتفريج الكربات واغاثة اللهفات وان يصرف له شيء من خالص ما لرب الارض والسموات من جميع أنواع العبادات التي صرفها المشركون لغير الله من المعبودات .

قال في السراج الوهاج على قوله فسيراني في اليقظة : أي سيراني يوم القيامة رؤيا خاصة في القرب منه ، أو من رآني في المنام ولم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة الى والتشرف بلقائي ويكون الله جعل رؤيته في المنام علما على رؤياه في اليقظة ، قال في المصابيح : وعلى الأول ففيه بشارة لرآئيه بأنه يموت على الاسلام وكفي بها بشارة وذلك انه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب منه الا من تحقق منه الوفاة على الاسلام حقق الله لنا ولاحبابنا وللمسلمين المتبعين ذلك بمنه وكرمه ،أو لكأنما رآني في اليقظة لايتمثل الشيطان بي . قال العلماء : ان كان الواقع في نفس الامر لكانما رآني فهو كقوله

فقد رآني . أو فقد رآى الحق ، وان كان سيراني في اليقظة ففيه أقوال ، وسيأتي تفسيرها احدها المراد به اهل عصره . الثاني انه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة . الثالث : يراه في الآخرة رؤيا خاصة في القرب منه وحول شفاعته ونحو ذلك والله أعلم ، انتهى .

فغاية ما في هذا الحديث ان من رآه في المنام فسيراه في اليقظة في الآخرة رؤيا خاصة باعتبار القرب منه أو يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة وليس فيه انه حي في قبره كحياته في الدنيا لاتصريحاً ولا تلويحاً وانما هذه الدعوى المجردة عن الدليل من تصرف هؤلاء الغـــلاة واعتقادهم الباطل المخالف لكتاب الله وسنة رسولة وكلام سلف الأمة وأئمتها .

وأما حياة الأنبياء في قبورهم ورؤيته ﷺ لموسى قائما يصلي في قبره فقد تقدم الجواب عنه في كلام الحافظ ابن القيم رحمه الله وبه الكفاية .

وأما قوله: وقد وقع الاخبار برؤيته ﷺ يقظة لجماعة من الأولياء اشتهرت كراماتهم وعلة مقاماتهم واستقامت أحوالهم وجاءت على طبق الشريعة أقوالهم من الخواص القائمين بالمراقبة وصحة التوجه على قدم الصدق ونهج الحق كالشيخ عبد القادر الكيلاني وابى العباس المرسي وسيدي علي وفاء وغيرهم من الا كابر فلا يقدم على تكذيبهم فيما اخبروا به بطريق الجزم عن انفسهم الامتجازف .

فالجواب ان يقال : ان رؤيته ﷺ يقظة في هذه الدنيا من أمحل المحال وأبطل الباطل ، فان الله تعالى قد قبضه اليه واستأثر به ورفعه الى الرفيق الأعلى وانما يتصور وجود هذا مناما فمن رآه في المنام وكان من أهل الصلاح وعلى صفته التي هو عليها فقد رآه حقا ، فان الشيطان لايتمثل به .

وأما يقظة فهو من التخيلات الشيطانية التي اغوى بها الشيطان كثيرا من الناس ممن يدعى الولاية ، فان منهم من يري اشخاصا في اليقظة يدعى احدهم انه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات والجنّ

الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطيء فان كان الأنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلا دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال وقد يعاونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر فيغتر بهؤلاء كثير من الناس ممن قلت معرفته وغلظ حجاب قلبه عن معرفة الحق من الباطل .

وهؤلاء كما قال شيخ الاسلام تجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير الى شخص فيموت أو يطير في الهواء أو ينفق بعض الأوقات من الغيب أويختفي أحياناً عن أعين الناس أوأن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضي حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور ما يدل على ان صاحبها ولى لله بل قد اتفق أولياء الله على ان الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لامره ونهيه ، وكرامات الأولياء أعظم من هذه الأمور الخارقة للعادة وان كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله ، فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الأمور انه ولى لله بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة انتهى .

وأما من ذكر من هؤلاء الذين يزعم انهم أولياء فأما الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله وأمثاله ممن هو على طريقته وسيرته فهو من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ، وله من الاحوال الايمانية والمآثر السنية الدالة على متابعة الكتاب والسنة ما هو معروف من حاله ومقاله ، ولكنه تجارى عليه الملحدون ووضعوا عليه اوضاعا ونسبوا اليه أقوالا هو بريء منها ، ومن جملتها هذه

الحكاية التى لا أصل لها ولا نقلها عنه من هو مأمون على الدين معروف بالصدق واليقين .

وأما من عداه من هؤلاء الذين ذكر انهم من اكابر أولياء الله ممن لا نعرف حالهم فالاقدام على تكذيبهم فيما أخبروا به بطريق الجزم عن أنفسهم هو من الامور التي يحبها الله ويرضاها ومن رد الباطل على من قال به ، اذ من المعلوم بالضرورة ان رؤيته ﷺ يقظة في هذه الدنيا لاتصح لا من الشيخ عبد القادر ولا ممن هو أجل منه فضلاً عمن هو دونه لان دعوى ذلك من المكابرة في الحسيات والمباهتة في الضروريات والله اعلم .

وأما قوله :

واذا لم تر الهلال فسلم	لأناس رأوه بالابصار

فالجواب :

اقول من المحال نراه حيا	بهذى الدار لا دار القرار
فغير مسلم تسليم هذا	لاقوام رأوه بالابصار
وهذا لا يكون فقد اتانا	بذلك النص متضح المنار
بأن المصطفى قد مات حقاً	وانا ميتون وذلك جاري
على كل الخلائق ليس يبقى	سوى الخلاق من للخلق باري
فاما في المنام فذلك حق	يراه الصالحون أولو الفخار
وأما يقظة فيراه حيا	كما قد كان حيا ذو اختيار
وتدبير وتصريف ويدري	كما يدريه في ماضٍ وجار
فدعوى هذه دعوى لعمري	تبيّن افكها بالاضطرار

فاذا تحققت هذا فهؤلاء لم تكن أحوالهم وخوراقهم أحوالا وخوارق ايمانية وانما كانت أبصارهم وحقائق أحوالهم خيالات شيطانية وعلى غير متابعة الكتاب والسنة مبنية ، فلا يلتفت الى أقوالهم ولايعول على ما ادّعوه من أحوالهم لانها عن الحقائق الايمانية خالية، وأقوالهم عن الدليل عارية .

وأما قوله : فالآية (ولو انهم اذظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر

لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) منسحب الى الآن والى ما شاء الله .

فأقول : هذا غير مسلم وقد تقدم الجواب عن هذا فراجعه .

واما قوله : ولذا ترى العلماء جميعاً ذكروا في باب زيارة قبر النبي ﷺ ان الانسان عند المقابلة يتلوا هذه الآية الكريمة كما يأتي نقل ذلك عنهم في الباب الثالث .

فالجواب ان يقال : نسبة هذا الى العلماء جميعهم من ابطل الباطل وامحل المحال ، وانما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن اعرابي أتى قبر النبي ﷺ وتلا هذه الآية واستحبها طائفة من متأخري الفقهاء من اصحاب الشافعي واحمد ، وسيأتي الكلام على هذا ان شاء الله تعالى .

واما الأئمة وعلماء السلف فلم يذكره أحد منهم ، ولا استحب أحد منهم سؤال النبي ﷺ الاستغفار بعد موته ولا غير ذلك البته ، فنسبته الى العلماء كلهم من الكذب عليهم كما سنبينه ، والحكايات والمنامات لا يثبت بها حكم شرعي ولا يسوغ مثل هذا الا في دين النصارى ، فان دينهم مبني على الحكايات والمنامات والاوضاع المخترعات . واما دين الاسلام فهو محفوظ بالاسناد ، فلا يثبت حكم شرعي الا بكتاب الله عز وجل . وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ وكان عليه عمل الصحابة رضي الله عنهم ، واشتهر ذلك بنقل الثقات العدول المتفق على عدالتهم .

وأما قوله : على ان من يدعي انها خاصة بقبل الوفاة فعليه الدليل وانى له ذلك .

فالجواب ان يقال : أما كون المجيء الى النبي ﷺ خاصاً بحال حياته قبل وفاته فنعم ، والدليل على ذلك من وجوه .

الوجه الاول : ان الآية نزلت في قوم معينين من أهل النفاق بدليل قوله تعالى : (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) فان قيل: فالآية وان وردت في اقوام معينين في حال الحياة فانها تعم بعموم العلة . قيل: نعم هذا حق فانها تعم ماوردت فيه وما كان

مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه ، وجاء كذلك في حال حياته ، وأما دلالتها على المجيء اليه في قبره فقد عرف بطلانه . يوضحه الوجه الثاني : انه لو شرع لكل مذنب ان يأتي الى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم اعياد المذنبين وهذه مصادمة صريحة لقوله ﷺ « لا تجعلوا قبري عيداً » .

الوجه الثالث : ان اعلم الامة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة ، لم يفهم أحد منهم الا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم ولم يكن أحد منهم يأتي الى قبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت . فلو كان هذا منسحباً الى ذا الآن والى ما شاء الله ، لما ترك الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم باحسان هذه القربة التي ذم الله سبحانه من تخلف عنها وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق ووفق لها من بعدهم ممن لا يؤبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم ، ويا لله العجب أكان ظلم الامة لانفسها ونبيها حي بين اظهرها موجوداً ، وقد دعيت فيه الى المجيء ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء فلما توفي ﷺ ارتفع ظلمها لانفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم الى المجيء اليه ليستغفر له ولو كان حقاً لسبقونا اليه علماً وعملا وارشادا ونصيحة ، ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة .

الوجه الرابع : انه لو كان المجيء الى قبره بعد وفاته مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه ورغبهم فيه لانه من كمال شفقته ورحمته ورأفته بالمؤمنين ، فلا خير الا دلّ عليه أمته وأمرهم به ، ولا شر الا حذّرها عنه ونها عنه ، لانه أكمل الخلق نصحاً للأمة ، فقد بلّغ الرسالة وأدّى الامانة ، ونصح للامة ، ومن كمال نصحه وشفقته بأمته انه نهى عن اتخاذ قبره عيداً . فقال ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبورا » الحديث فمن أتى الى قبره بعد وفاته ليستغفر له فقد ارتكب ما نهى عنه وفعل ما يسخطه . قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد روى عبدالرزاق في مصنفه عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي رأى قوماً عند القبر فنهاهم

وقال ان النبي ﷺ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » . وروى سعيد بن منصور في سننه عن عبد العزيز بن محمد قال اخبرني سهيل بن أبي سهيل قال رآني الحسن بن علي ابن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة فقال هلم إلى العشا فقلت لا أريده فقال مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي ﷺ فقال إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال ان رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد صلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » ما انتم ومن بالاندلس الاسوي وروي ابو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر ابن ابي شيبة عن يزيد بن الحباب عن جعفر بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين عن علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين انه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً فان صلاتكم تبلغني اينما كنتم . »

الوجه الخامس : انه قد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقد كان من المعلوم ان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا تفعلون هذا ولا هدي اكمل من هدي الصحابة ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم فانهم كانوا كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد ﷺ كانوا ابر هذه الامة قلوبا وأعمقها علماً واقلها تكلفا ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ولاظهار دينه فاعرفوا لهم فضلهم واهتدوا بهديهم ، فانهم كانوا على الصراط المستقيم .

وقد قال مالك في المبسوط ، لا بأس لمن قدم من سفر ان يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له ، فان ناساً من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او مرتين او اكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة ، فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه

في بلدنا وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح اولها ، ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر او أراده والله أعلم .

فصل

قال الملحد : وهنا آيات أخر تشير الى الالتجاء به ﷺ منها قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقوله (بالمؤمنين رؤف رحيم) .

فالجواب أن يقال : ليس في هذه الآيات ما يشير الى الالتجاء به ﷺ ، لا لفظاً ولا معنى ، والالتجاء من خصائص الالهية ، فصرفه لغيره شرك يخرج من الملة فمن التجأ الى غير الله كان مشركا ، فقوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) .

قال في جامع البيان (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) في امور الدارين قال عمر رضي الله عنه يارسول لأنت أحب الى من كل شيء إلا من نفسي ، فقال عليه السلام « لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال والله لأنت يارسول الله أحب إلى من كل شيء حتى من نفسي فقال الآن ياعمر ، وعن بعض المفسرين معناه النبي اولى من بعضهم ببعض في وجوب طاعته عليهم انتهى .

وقال في الاكليل (النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم) أخرج البخاري عن أبي هريره مرفوعا « مامن مؤمن إلا وانا اولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرأوا ان شئتم (النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبة من كانوا فان ترك ديناً اوضياعا فليأتني فأنا مولاه » انتهى ، وفي صحيح البخارى أيضا « والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين » .

اذا علمت هذا فغاية مافي هذه الآيات اخباره تعالى بأن رسوله ﷺ اولى

بالمؤمنين من انفسهم في امور دنياهم وأخراهم ، وان الله تعالى ارسله رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات ، اي ظلمات الكفر والمعاصي الى النور نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) كقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) فرأفته ورحمته بالمؤمنين وغلظته وشدته على الكافرين ، فمن آمن بالله ورسوله وأخلص العبادة بجميع أنواعها لله ولم يشرك فيها أحدا ، لا ملكا مقربا ولا نبياً مرسلا ، فضلا عن غيرهما ، فالرسول اولي به من نفسه ورأفته ورحمته ﷺ خاصة بالمؤمنين به المؤتمرين لامره المنتهين عما نهي عنه ، ومن أشرك بالله في عبادته أحدا من مخلوقاته كائناً من كان والتجأ إليه في كشف المهمات واغاثة اللهفات وصرف له خالص حق الله فرسول الله منه بريء فلاتنال رأفته ورحمته وشفقته من أشرك بالله ولا يكون من أهل ولاية الله في الدنيا والآخرة .

قال شمس الدين الحافظ بن القيم رحمه الله تعالى :

يامن له عقل ونور قد غدا	يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنـــا مقالة صارخ	في كل وقت بينكم باذان
الرب رب والرسول فعبده	حقاً وليس لنـــا إله ثان
فلذاك لم نعبـده مثل عبادة الـــرحمن فعـل المشرك النصراني	
كلا ولم نغل الغلو كما نهي	عنـه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لغـــيره	ولعبـــده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحدا	من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله	وكذا الصلاة وذبح ذى القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا	وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقي	وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به	إياك نعبـــد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره	دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والتـ	ـهليـــل حق إلهنـــا الديان

لكنما التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضي القرآن
والحب والايمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلوها يا أولى العدوان
حق الاله عبادة بالامر لا بهوي النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول إذ هو صاحب البرهان
والامر منه الحتم لا تخيير فيه عند ذي عقل وذي ايمان

الى أن قال :

هذا الذي أدي اليه علمنا وبه ندين الله كل اوان
فهو المطاع وأمره العالى على أمر الورى واوامر السلطان
وهو المقدم في محبتنا على الأ هلين والازواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتي على النفس التي قد ضمها الجنبان

الى أن قال :

كفرتموا من جرد التوحيد جهلا منكمو بحقائق الايمان
لكن تجردتم لنصر الشرك والبدع المضلة في رضى الشيطان
والله لم نقصد سوي التجريد للتوحيد ذاك وصية الرحمن
ورضي رسول الله منا لاغلو الشرك اصل عبادة الاوثان
والله لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا الى الاذعان
والله لو يرضي الرسول سجودنا كنا نخر له على الاذقان
والله ما يرضيه منا غير اخلاص وتحكيم لذي القرآن
ولقد نهى ذا الخلق عن اطرائه فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا ان نصير قبره عيداً حذار الشرك بالرحمن

فصل

قال الملحد : وقد فهم أبو البشر آدم ﷺ من قرنه اسمه تعالى باسم نبيه محمد

ﷺ أنه الوسيلة إليه فتوســـــل به الى ربه بأن يغفر له كما يأتي بالباب الثاني إن شاء الله ، فأقول هذا كذب محض ، والحديث الآتي ذكره بعد موضوع وسيأتي الكلام عليه في محله إن شاء الله تعالى .

وأما قوله: فاذا علمت أن قرن اسم النبي باسمه تعالى يشعر بالتوسل به فخذ الآيات المقرون بها اسم النبي باسمه تعالى. فالجواب ان يقال هذه الآيات التي قرن الله اسم نبيه باسمه تعالى لاتشعر بالتوسل به ولا تجيز صرف خالص حق الله له ، وإنما غاية ما فيها تشريفه ﷺ والتنويه بذكره ، فهو ﷺ رحمة للعالمين وحسرة على الكافرين وحجة على العباد اجمعين ، قد افترض الله على العباد طاعته ومحبته وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسد الى جنته جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه ، فشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره واقسم بحياته في كتابه المبين وقرن اسمه باسمه ، فلا يذكر إلا معه كما في التشهد والخطب والتأذين ثم سرد هذا الملحد الآيات التي قرن الله اسمه باسم نبيه فيها كطاعته وطاعة رسوله وترك معصية الله ورسوله وعدم مشاقة الله ورسوله وعدم محاربته ومحاداة رسوله . وأن الانفال الخمس لله ورسوله والرد الى الله والي رسوله فيما تنازعت الأمــة فيــه وأن الايتاء لله ورسوله الى غير ذلك من الآيات التي شرف الله بها رسوله ورفع له بهــذا ذكره وأوجب بها على الخلق طاعته وغايتها ومقتضاها ، تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما أمر ، والانتهاء عما نهي عنه وزجر ، وأن لايعبد الله إلا بما شرع لا إله إلا هو ، أو البدع ، فمن فهم غير هــذا منها بأن يتوســل به ويدعي ويستغاث به ويلجأ إليه فقد ضل فهمه وحمل كلام الله ما لا يحتمله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

قال الملحد : وأما الآيات التي تمسك بها الوهابية من قوله تعالى (ادعوني استجب لكم) وقوله تعالى (وأن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وان

يردك بخير فلا راد لفضله . وقوله (ونحن اقرب إليه من حبل الوريد) ونحوها من الآيات الكريمة ، فلا تدل على مدعاهم من امتناع التوسل بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . فالجواب أن نقول :

هذه الآيات ونحوها من الآيات التي يستدل بها الوهابي على امتناع التوسل بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من الملائكة والاولياء والصالحين هي من أوضح الدلائل والبينات على امتناع دعائهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم والالتجاء إليهم الى غير ذلك من أنواع العبادة لأنها دالة على وجوب عبادة الله وحده لاشريك . والبراءة من عبادة ماسواه كائنا من كان وهي تتضمن كمال الذل والحب ، وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم . وهذا دين الاسلام الذي لايقبل الله دينا غيره ، لا من الاولين ولا من الآخرين ، فان جميع الانبياء على دين الاسلام ، وهو يتضمن الاستلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عبادته . قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) . وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى عن الخليل (إذ قال لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى عنه (افرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون ، فانهم عدو لي إلا رب العالمين) . وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده) . وقال تعالى (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وذكر عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، وقال عن أهل الكهف (أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قلنا إذاً شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا

يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وقال تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) في موضعين من كتابه. وقال تعالى (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) .

قال الشيخ رحمه الله ، والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين ، فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبدالله ورسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يدعونها ويلتجئون إليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله كما حكي الله ذلك عنهم في مواضع كتابه كقوله تعالى(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية . وقال تعالى (والذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ، بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) قال رحمه الله ! ومعـــلوم ان المشركين لم يزعموا أن الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، ولو في خلق ذرة من الذرات . قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، قل افرأيتم ماتدعون من دون الله إذ أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) .فمنهم معـترفون بهذا مقرون به لاينازعون فيه ، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقروا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لايكشف الضر ولا يمسك الرحمة ولا يخفى ما في التنكير مر العموم والشمول المتناول لأول شيء ، وأدناه من ضر أو رحمة ، وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون) الى قوله (فاني تسحرون) . وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره إيمانهم هنا بما اقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركاهم بعبادة غيره ، قال رحمه الله وقد بين القرآن في غير موضع أن من المشركين من أشرك بالملائكة ومنهم من أشرك بالانبياء والصالحين ومنهم من أشرك بالكواكب ومنهم من أشرك بالاصنام .وقد رد عليهم أجمعـــين

وكفر كل أصنافهم ، كما قال تعــالى (ولا يامركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) الآية ونحو ذلك في القرآن كثير ـ وبه يعلم المؤمن ان دعاء الانبياء والصالحين كدعاء الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر واتفاقهما هو العلة التي هي دعاء غير الله ، قال رحمه الله : وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي أفعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والدعاء والاستغاثة والاستعانة والخوف والرجاء والنسك والتقوي والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده وإحسانه وكرمه ، فهذه الانواع أشرف أنواع العبادة وأجلها بل هي لب سائر الاعمال الاسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو خداج مردود على صاحبه وانما أشرك وكفر من كفر من المشركين بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون) وقال تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون وقال (اتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذاً لفي ضلال مبين) .

وحكي عن اهل النار انهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها من دون الله (تالله إنا كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم أنهم ماسووهم بالله في الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات قال رحمه الله فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين نحكم بأنهم مشركون ونري كفرهم إذا قامت عليهم الحجة الرسالية وما عدا هذا من الذنوب التى دونه في الرتبة والمفسدة لا نكفر بها ولانحكم على احد من اهل القبلة الذين باينوا لعباد الاوثان والاصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبوه وعظيم جرم اجترحوه انتهي .

فما استدل به الوهابي علي امتناع التوسل بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على عرف اهل هـذا الزمان ولغتهم واصطلاحهم في معني التوسل هو

مقتضي هذه الآيات ، فأما التوسل الذي هو بلغة الصحابة والتابعين فهو التوسل بدعائهم وذلك في حياتهم وأما بعد وفاتهم فهو من البدع المكروهة المذمومة المحرمة والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

وأما قوله (وأما الذين أجمعوا من المسلمين على التوسل الى الله بالانبياء والمرسلين لايقصدون بذلك تأثير شيء بإيجاد نفع أو دفع ضرر ولا يعتقدون ذلك البتة جميع المسلمين يعتقدون أن الله تعالى هو المنفرد بالايجاد والاعدام والنفع والضر ، فلا يعدون من توسل بالنبي ﷺ أو بالملائكة أنهم اتخذوهم اولياء من دون الله فكيف يتجرون على الاستشهاد علي مذهبهم بقوله (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) الآية . فالجواب أن نقول ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد والله أمكنت الرمي من سواء الثغرة . فان قولك هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، فانهم كانوا يدعون الانبياء والملائكة والاولياء والصالحين ، وليجيئون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوا الى الله كما حكي الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه . قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية . وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) .

ومن المعلوم أن الكفار الذين كانوا علي عهد رسول الله ﷺ وقاتلهم واستحل دماءهم واموالهم كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الامور ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الاشياء وأنه لامشارك له في إيجاد شيء وإعدامه وأن النفع والضر بيده وانه هو رب كل شيء ومليكه ، ولا يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من دون الله من

الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، ولو في خلق ذرة من الذرات . قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة . هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لاينازعون فيه . ولكن لم يدخلهم ذلك في الاسلام . وقاتلهم رسول الله ﷺ الى أن يكون الدين كله لله . فاذا عرفت أن هذا لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة والانبياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بهم هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

عرفت أن التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون هو توحيد الله تعالى ، وأفعال العبد الصادرة منه كالدعاء والحب والخوف والرجاء والخضوع والخشوع والانابة والتوكل والاستقامة والاستغاثة والخنوع والتذرع والالتجاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه ، وأن من صرف منها شيئا لغيره ، كان مشركا سواء اعتقد التأثير ممن يدعوه ويرجوه ، أو لم يعتقد . فمن صرف لغير الله شيئا من انواع العبادة المتقدم ذكرها ، فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهاً وأشركه مع الله في خالص حقه ، وإن فر من تسميته فعله ذلك تأليها وعبادة وشركا . ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لاتتغير بتغير اسمائها ، فلا تزول هذه المفاسد بتغير اسمائها كتسمية عبادة غير الله توسلا وتشفعا وتعظيما للصالحين وتوقيرا . فالاعتبار بحقائق الامور ، لا بالأسماء والاصطلاحات والحكم يدور مع الحقيقة لا مع الاسماء . إذا عرفت هذا فمن أنواع هذا الشرك الذي يسميه هؤلاء توسلا وتشفعاً بجاه النبي ﷺ أو بحقه ، وغير ذلك من الالفاظ . أو بجاه غير النبي كالملائكة والانبياء والاولياء والصالحين . أن يعتقد الانسان في غير الله أنه يقدر بذاته على جلب منفعة لمن دعاه أو استغاث به ، أو دفع مضرة . قال تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الآية . وقال تعالى (وإن

يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وأن يردك بخير فلا راد لفضله) فاذا ثبت في القلب أن الله عز وجل بهـذه الصفات فوجب ان لايستغاث إلا به ، ولا يدعى إلا هو ولا يخاف ولا يرجى إلا هو ، ولذلك قال تعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا) فقال تعالى توبيخاً لأهـل الـكتاب الذين يستغيثون بعيسى وأمه وعزير عليهم السلام لما أنزل الله عليهم القحط والجدب (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآية . وقال تعالى لنبيه (قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الي إنما إلهكم إله واحد) الآية. وقال (قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله) الآية .

ومن أنواع هذا الشرك التوكل والصلاة والنذر والذبح لغيرالله . قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه وتوكل على الحي الذي لايموت) وقال (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) الى قوله (وما ذبح) وقال (فصل لربك وانحر) وقال (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) الآية .

ومن أنواع هذا الشرك العكوف على قبور المشهورين بالنبوة والصلاح والولاية ، لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك ، فتارة يسألونه وتارة يسألون الله عند قبره .

ولما كان هذا مبدأ الشرك سد النبي ﷺ هذا الباب . ففي الصحيحين انه قال في مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا » قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره . لكن كره أن يتخذ مسجداً ،وقال (لاتتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) وقال ﷺ «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) . انتهى . وأمـا قوله (ولا يعدون من توسل بالنبي ﷺ أو بالملائكة أنهم اتخذوهم أربابا من دون الله ، فكيف يتجرءون على الاستشهاد على مذهبهم بقوله (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) الآية . فالجواب ان يقال ان دعوى من دعا النبي ﷺ واستغاث به ولجأ اليه

ودعا الملائكة أنهم لا يتخذوهم أربابا من دون الله ولا يعدون ذلك لاتجدي هذه الدعوى شيئا ، فان الكفار كما تقدم بيان ذلك يزعمون ان الانبيـاء والملائكة استقلوا بشيء من افعال الربوبية أو شاركوا الله في ايجاد شيء أو اعدامه أو ساووهم بالله في التدبير والنفع والضر والتأثير ، ولكن لما اشركوهم مع الله في عبادته بالحب والخوف والتعظيم والرجاء والتوكل والاستغاثة والالتجاء والذبح والنذر وغير ذلك ، كان ذلك كفرا وشركا بالله ، فان من اشرك مع الله في عبادة غيره فقد اتخذوا رباً وإلهاً ولذلك يحتج عليهم سبحانه بما اقروا به من توحيد الربوبية على ماجحده من توحيد الآلهية . ولما قال ﷺ اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . قال عدي بن حاتم رضي الله عنه انهم لايعبدوهم . قال أليسوا يحلون ماحرم الله فيحلونه ويحرمون ما احل الله فيحرمونه . قال بلى . قال فتلك عبادتهم . فجعل ﷺ طاعتهم في التحليل والتحريم التي هي افعالهم بتعظيم احبارهم ورهبانهم الذين اتخذوهم ارباباً من دون الله عبادة لهم مع الله . ولهذا اجترأ الوهابية على تكفير من دعا غير الله واستغاث به ولجأ اليه وصرف له شيئا من خالص حق الله ، لأنه قد اتخذه رباً ومعبوداً ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً يأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون) كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

فصل

واما قول الملحد : فان قلت شبهة من منع التوسل رؤيتهم بعض العوام يطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً اشياء لاتطلب إلا من الله تعالى ويقولون للولى افعل لى كذا وكذا فهذه الالفاظ الموهمة محمولة على المجاز العقلي والقرينة عليه صدوره من موحد ، ويدلك على ذلك أنك اذا استفسرت العامي عند نطقه بهذه الالفاظ الموهمة يبين لك معتقده بأن الله هو الفاعل للاشياء ولا مشارك له في ايجاد شيء ، فالجواب ان نقول : الكلام على هذا من وجوه :

الاول : ان طلب بعض العوام اوبعض الخواص من اهل القبور المعروفين بالصلاح من الأحياء والاموات واعتقاد أنهم يقدرون على ما يقدر عليه الا الله عز وجل ويفعلون مالا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم وصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي الله عز وجل في الدعاء هو اعتقاد كفار قريش الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وقاتلهم عليه ليكون الدين كله لله وان يخلصوا العبادة له ويخلعوا الانداد المدعوة من دونه فمن طلب من مخلوق مالا يقدر عليه إلا الخالق فقد أشرك ذلك المخلوق في عبادة الله سواء كان المدعو نبيا او ملكا او رجلا صالحاً او غير ذلك .

الثاني : ان مجرد عدم التأثير والخلق والايجاد والاعدام والنفع والضر الا الله لا يبريء من الشرك ، فان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم ايضاً كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار بل لابد فيه من إخلاص توحيده وإفراده واخلاص التوحيد لايتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله والطلب منه والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له وعنه لابغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها يكون لله .

الثالث ان مجرد كون الاحياء والاموات شركاء في انهم لا يخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شيء لا يقتضي ان يكون الاحياء والاموات متساوين في جميع الاحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالاحياء والتوسل بالاموات مع أن العرف المعروف من لغة العرب في معنى التوسل بالاحياء التوسل بدعائهم وهو ثابت بالاحاديث الصحيحة ، واما التوسل بالاموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن واما التوسل في عرف هؤلاء فهو دعاؤهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم وهذا شرك وكفر وخروج من الدين باجماع المسلمين المحكمين الكتاب والسنة ، واما قول هذا الملحد : فهذه الالفاظ الموهمة محمولة على المجاز العقلي ، فالجواب من وجوه .

الاول : أن تلك الالفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى فما معنى الايهام .

والثاني : لو سلم هذا الحمل لاستحل الارتداد وانسد باب الردة الذي يعقده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها ، فان المسلم الموحد متى صدر منه قول او فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز العقلي ، والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز ، والثالث أنه يلزم على هذا أن لايكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرزاق الضار النافع وان الخير والشر بيده لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم الى الله زلفي ، فالاعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناه الحقيقي بل المراد هوالمعنى المجازى اي التكريم مثلا ، فماهو جوابكم فهو جوابنا .

والرابع : انكم هؤلاء أولتم عنهم في تلك الالفاظ الدالة على تأثير غيرالله فما تفعلون في اعمالهم الشركية من دعاء غير الله والاستغاثة والنذر والذبح ، فان الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله بل اذا صدر من احد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثرا أم لا . انتهي .
فاذا عرفت أن هذا هو اعتقاد كفار قريش وغيرهم من العرب فانهم كانوا معترفين بأن الله هو الفاعل لهذه الأشياء وانه لا مشارك له فما إيجاد شيء ولا أدخلهم ذلك في الاسلام بل قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم الى ان يخلصوا العبادة لله ولا يشركوا في عبادته احدا سواه كان دعوي هؤلاء ان هذا من الالفاظ الموهمة من الاوهام الموبقة .

قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في كتابه في الرد علي من ادعي ان للاولياء تصرفات في الحياة وبعد المات على سبيل الكرامة : هذا وقد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا منهم

ابدال ونقباً واوتاد ونجبا وسبعون وسبعة واربعون واربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما الاجور، قال: وهذا الكلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفته لعقائد الائمة وما أجمعت عليه الامة وفي التنزيل (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين) الآية، الى أن قال: واما القول بالتصرف في الحياة بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ، قال جل ذكره (انك ميت وانهم ميتون) (الله يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخري الى اجل مسمي) (كل نفس ذائقة الموت) (كل نفس بما كسبت رهينة) وفي الحديث « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الحديث فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وان أرواحهم ممسكة وان اعمالهم منقطعة عن زيادة او نقصان فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر ان الارواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الأرواح مطلقة متصرفة قل أنتم أعلم ام الله ، قال والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال او إدراك عدو او سبع ونحوه كقولهم يا لزيد يا للمسلمين بحسب الأفعال الظاهرة واما الاستغاثة بالقوة والتأثير او في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره انتهي ، والمقصود ان اهل العلم مازالوا ينكرون هذه الامور الشركية التي عمت بها البلوى واعتقدها اهل الاهواء فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الامور الشركية لطال الجواب والبصير النبيل يدرك الحق من اول دليل ومن قال قولا بلا برهان فقوله ظاهر البطلان مخالف ماعليه أهل الحق والايمان المتمسكين بحكم القرآن المستجيبين لداعي الحق والايمان والله المستعان وعليه التكلان .

فصـــل

وانما دهى الغلاة ما ألقاه الشيطان اليهم بكيده ان قال : ان هؤلاء قوم صالحون وعند الله مقربون ولهم مايشاؤن ولهم الجاه الأعلى والمقام الرفيع الاسنى فمن قصدهم لايخيب سعيه ولا يطيش رأيه وان ببركتهم تدفع البليات وتقضي الحاجات وبشفاعتهم يتقرب زوارهم الى الله الغفار فتحط عنهم بشفاعتهم عند الله الاوزار الى غير ذلك من الدلائل التى يملأ بها قلوب اهل الاماني بمثل هـذه المعاني فيتلاعب بعقولهم السخيفة وآرائهم الضعيفة ويحسن لهم البـدع والمنكرات بما يلقيه اليهم من الحكايات والخرافات ويحثهم على التقرب الى اهل القبور بما يقدرون عليه من النحر والنذور والطواف والتزين بالزين المحرمة من القصب والذهب والفضة وتعليق القناديل وايقاد شموع العسل وتصفيح الجدران والاعتاب والسنون والابواب بالفضة والذهب وغيرهما مما يجاوز الحساب ويفهم انما كلما ازدادوا في مثل ذلك احسنوا كل الاحسان فدخلوا الجنان، ثم ما كفاه ذلك حتى استحقهم فدعاهم الى أن يطلبوا منهم النصر على الاعداء والشفاء من عضال الداء فأجابوه الى مادعاهم مسرعين . وزاد على ذلك بأن طلبوا منهم الحياة لأولادهم، فتراهم يقولون قد علقنا أولادنا عليهم ، ومنهم من يطلب منهم النسل اذا كان عقيما والشفاء اذا كان سقيما ، وكثيرا ممن يطلب منهم منصبا فيه أخذ اموال العباد والسعى في الارض بكل فســـاد ، فيجيء اليهم ويلازمهم معتقدا أن من لازمهم قضيت حاجته ونجحت سعايته واقترنت سعادته .

واذا فتحت ابواب بيوت قبورهم المذهبة ، ورفعت ستور الابواب المطلاة المطردة ، وفاحت تلك الروائح المسكية من الجدران المخلقة ، وجد هـذا الزائر في فؤاده من الخشية والرعب ما لا يجد ادني معشار جزء عشره بين يدي خالق السموات والارضين واله جميع العالمين ، فيدخل الى القبر خاشعاً ذليلا متواضعاً لايخطر في قلبه مثقال ذرة من غير اجلاله منتظرا فيض كرمه ونواله فاقسم بالله أنه لم يتصوره بشر قد وضع باكفانه في لحده ، ولو سلمنا انه لو

خطرت له وهو عنده في تلك الحضرة لتعوذ بالله منها ووقف عند حده وياخيبة من انكر عليهم حالهم وياشناعة من رد عليهم امرهم وياخسارة من علمهم وارشدهم فان ذلك عندهم وقد تنقص الاولياء وهضمهم مرتبتهم عن السمو والارتقاء ، ولو ذهبنا نذكر افعالهم واقوالهم لطال الجواب فالى الله المشتكي وبه المستغاث وهو المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فصل

قال الملحد : وانما الطلب من هؤلاء الصالحين على سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه، فالجواب: ان نقول هكذا كان مشركو العرب الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين والانبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين ويلتجئون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ويعلمون ان الله تعالى هو النافع الضار وان الله سبحانه هو المؤثر وأن غيره لاتأثير له في جلب نفع اودفع ضر ولم يدخلهم ذلك في الاسلام لما جعلوا بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله تعالى فلم ينفعهم اقرارهم بتوحيد الربوبية .

وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله لما سئل عن رجلين تناظرا فقال احدهما لابد لنا من وساطة بيننا وبين اللهتعالي فانا لانقدر علي ان نصل اليه بغير ذلك فما معني الوساطة ؟ وهل التوسط عام في كل شيء يوجده الله تعالى ام في ذلك بيان وتفصيل ، فأجاب رحمه الله ورضى عنه بقوله: الحمد لله ان اراد بذلك انه لابد من وساطة تبلغ امر الله تعالى فهذا حق فان الخلق لايعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما امر الله به ونهي عنه وما اعد لاوليائه من كرامته وما اوعد به اعداءهم من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله من اسمائه الحسني وصفاته العلية التي تعجز العقول عن الاحاطة بها الى أمثال ذلك الا بالرسل الذين ارسلهم الله الى عباده والمؤمنون بالرسل المتبعون لهم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفي ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة ، وأما المخالفون للرسل فانهم

ملعونون وهم ضالون وعن ربهم محجوبون قال تعالى (يابني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وذكر آيات في المعنى ، ثم قال رحمه الله: وان اراد بالوساطة انه لابد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم ذلك ويرجونهم فيه فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لمن يأذن الله تعالى له فيها قال الله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليسوا لهم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وساق آيات في المعني الى أن قال ، وقال تعالى (وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون) فبين سبحانه وتعالى ان اتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كفر فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات ، فهو كافر باجماع المسلمين وقد قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين ايديهم وماخلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان

يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدّهم عدّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال تعالى (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) ومثل هذا في القرآن كثير ومن سوى الأنبياء ومشايخ العلم والدين وأثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد اصاب في ذلك وهؤلاء اذا اجتمعوا فاجتماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، الي أن قال: وان اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك وبين رعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه وأن الله انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك اولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب ، فمن اثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب وإلا قتل .

قلت : وهذا عين كلام الشامي فانه زعم ان الطلب من هؤلاء الصالحين على

سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه ، والشيخ رحمه الله هنا وفي جميع كلامه جزم بان فاعل ذلك كافر مشرك يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب والا قتل ، ثم قال الشيخ وهؤلاء المشبهون يشبهون الخالق بالمخلوق وجعلوا لله اندادا وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوي ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة ، أما لاخبارهم من احوال الناس مالا يعرفونه ، ومن قال ان الله لايعرف احوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة او الانبياء اوغيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لايخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين .

الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعاديهم الاباعوان يعينونه ، فلا بد له من أعوان وانصار لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل . قال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) ، وقال تعالى (الحمد الله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) ، وكل ما في الوجود من الاسباب ، فهو سبحانه خالقه وربه ومليكه . فهو الغني عن كل ما سواه ، فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم ، وهم في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك في الملك ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ولهذا لايشفع عنده احد إلا بإذنه ، لاملك ولا نبي ولا غيرهما فان من يشفع عند غيره بغير إذنه ، فهو شريك في حصول المطلوب ، لأنه أثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلبه منه والله سبحانه وتعالى لاشريك له بوجه من الوجوه . ويسمى الشفيع شفيعاً لأنه يشفع غيره أي يصير له شفعاً . قال تعالى (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن

له كفل منها) وكل من اعان غيره على أمر فقد شفعه فيه . والله تعالى وتر لايشفعه أحد بوجه من الوجوه .

الوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته، والاحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت اداة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته . أما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الاسباب إنما تكون بمشيئته . فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، وهو اذا جرى نفع العباد بعضهم على ايدى بعضهم فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك ، فهو الذى خلق ذلك كله وهو الذى خلق فى قلب هذا المحسن والداعي والشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده او يعلمه مالم يكن يعلمه او من يرجوه الرب ويخافه ولهذا قال النبي ﷺ « لا يقولن احدكم اللهم اغفر لى أن شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له » والشفعاء الذين يشفعون عنده لايشفعون الا باذنه قال تعالي (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (ولاتنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) بخلاف الملوك فان الشافع عندهم قد يكون له ملك او يكون شريكا لهم في الملك وقديكون ظاهراً لهم معاوناً علي ملكه وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة على انعامهم عليه حتي انه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذالك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتي لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذالك ويقبل شفاعة مملوكه فانه ان لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه وان يسعي في ضرره وشفاعة العباد لبعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلايقبل احد شفاعة احد الا لرغبة او رهبة والله تعالي لايرجو أحداً ولا يخافه ولا يحتاج الي احد بل هو الغنى قال تعالى (ألا ان لله من في السموات ومن في

الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون الا الظن وإنهم إلايخرصون) الى قوله (قالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه هو الغني له مافي السموات وما في الارض) الآية، وقوله (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) استفهام استنكار اي ليس متبع الذين يدعون من دون الله شركاء حجة ولا برهانا ما يتبعون الا الظن وإن هم إلايخرصون ، بين تعالى أن من دعا من دون الله شركاء فليس معه علم ليس معه إلا الظن والخرص والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غيرمطابق للحق فان الخرص هنا بمعني الكذب كقوله تعالى (قتل الخراصون) ومن ظن ان «ما» هنا نافية فقد فسر الآية بما هو خطأ كما قد بسط في غير هذا الموضع ، والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند المخلوق قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال عن صاحب ليس (وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذاً لفى ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون) الآية ، وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) واخبر عن المشركين انهم قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فأخبر أن من يدعي من دونه لايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون اليه فقد نفي سبحانه ما أثبتوه من توسيط الملائكة والانبياء الى أن قال : والمقصود هنا أن من اثبت وسائط بين الله تعالي وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين

المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائط يتقربون بها الى الله تعالى وهو من الشرك الذى انكره الله تعالى على النصاري حيث قال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الاليعبدوا إلها واحدا لا اله الاهو سبحانه وتعالي عما يشركون) وقد قال تعالى (واذا سألك عبادي عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) ثم ذكر آيات في المعني وهذا الذي قاله الشيخ لاخلاف فيه بين المسلمين وانما اشتبه الامر على هؤلاء الضلال لما قدم العهد ونسى العلم واعتادوا سؤال غير الله فيما يختص به تعالى ونشئوا على ذلك .

فصل

واما قوله : ولكن مع ذلك علينا أن نأمر العامة بسلوك الادب بالتوسل بأن يكون بالالفاظ التي ليس فيها إيهام ، وذلك كان يقول المتوسل اللهم اني: أسألك وأتوسل اليك بالنبي ﷺ وبأصحابه وبأحبابه أن تعطيني كذا وكذا وتدفع عني كذا وكذا الى آخر مطلوبه ، ولا يصح لنا أن نمنعه من التوسل مطلقاً لما تقدمنا من الآيات ولما يأتي من الاحاديث والاجماع فنعوذ بالله من طمس عين البصيرة (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) فالجواب ان نقول: ان قول القائل اللهم اني اسألك واتوسل اليك بالنبي ﷺ وباصحابه وبأحبابه أن تعطيني كذا وكذا قول مبتدع محرم منهي عنه في أصح القولين عند الحنابلة ، وقد نص على المنع منه جمهور اهل العلم بل ذكر شيخ الاسلام في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلا بجوازه لابن عبد السلام في حق النبي ﷺ ولم يجزم بذلك بل علق القول به علي ثبوت حديث الاعمى وصحته وفيه من لايحتج به عند اهل الحديث .

ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف انه قال . قال ابو حنيفة رضي الله عنه لاينبغي لاحد ان يدعو الله الا به ، وذكر الملا في شرح التنوير عن التتارخانية عن ابي حنيفة انه قال : لا ينبغي لأحد ان يدعو الله سبحانه

الا به اى بالله سبحانه ، وفي جميع متونهم ان قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والاولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وعللوا ذلك كلهم بقولهم انه لاحق المخلوق علي الخالق انتهى ، ولكن هؤلاء الغلاة مع كونهم مبتدعين هم مع ذلك يدعون الانبياء والاولياء والصالحين ويلجأون اليهم ، وقد كان من المعلوم عند جميع اهل السنة والجماعة من جعل الانبياء والاولياء والملائكة وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين والله الهادي الي الصواب .

فصل

قال الملحد : الباب الثاني بذكر الاحاديث الدالة على التوسل بالنبي ﷺ اخرج البخاري في تاريخه ، والبيهقي في الدلائل والدعوات وصححه ، وابو نعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف ، أن رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال ، أدع الله لي ان يعافيني . قال : ان شئت اخرت ذلك وهو خير لك ، وان شئت دعوت الله تعالى . قال ، فأدعه . فأمره ان يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء « اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يامحمد اني اتوجة بك الى ربي في حاجتي هذه ليقضيها اللهم شفعه فيّ » ففعل الرجل فقام وقد أبصر ، والجواب ان يقال : هذا الحديث غير محفوظ وفيه مقال مشهور وفي سنده ابوجعفر عيسي بن ابي عيسى بن ماهان الرازي التميمي قال الحافظ بن حجر في التقريب : الاكثرون على ضعفه ، وقال احمد والنسائي : ليس بالقوي وقال ابو حاتم : صدوق وقال ابن المديني : ثقة كان يخلط ، وقال مرة يكتب حديثه إلا انه يخطيء ، وقال القلانسي سيء الحفظ وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال ابو زرعة يهم كثيرا ، وقال الحافظ في التقريب ايضا في ترجمة الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن ابي عيسي بن عبد الله ماهان وأصله من مرو وكان يتجر الى الري صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات في حدود الستين انتهى ،

وعلى تقدير صحته وثبوته فلا يدل على ماتوهمه هذا الملحد وبيان معنى الحديث يعلم أن ماتوهمه هؤلاء الغلاة غير صحيح، فقوله اللهم اني اسألك اي اطلب منك واتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ صرح باسمه مع ورود النهى عن ذلك تواضعاً منه لكون التعليم من قبله وفي ذلك قصر السؤال الذي هو اصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال ، ولكنه توسل بالنبي بدعائه . ولذا قال في آخره اللهم فشفعه فيّ إذ شفاعته لاتكون الا بالدعاء لربه قطعاً ، ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى ، اذ التوسل بقوله نبيك كاف في إفادة هذا المعنى . فقوله : يامحمد اني توجهت بك الى ذى . قال الطيبي : الباء في بك للاستعانة وقوله اني توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه معنى قوله (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) فيكون خطاباً بالحاضر معاين في قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال بنيه بدعائه الذى هو عين شفاعته ولذلك أتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك ان هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه . وقال شيخ الاسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم»: والميت لا يطلب منه شيء لادعاء ولا غيره، وكذلك حديث الأعمي فانه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه فهذا يدل على أن النبي شفع فيه وامره أن يسأل الله قبول شفاعته وان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اى بدعائه وبشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك بنبينا، فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعني واحد ثم قال : يامحمد يارسول الله إني اتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه فيّ فطلب من الله ان يشفع فيه نبيه . وقوله يامحمد يانبي الله وهذا وامثاله نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلى السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه إجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم

مقصود الصحابة يراد التسبب به لكونه داعياً وشافعاً مثلا او لكون الداعي محباً له مطيعاً لأمره مقتدياً به فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا منه ولا من السائل بل بذاته او بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام الى آخر ما قال انتهى . فاذا عرفت هذا فليس في حديث الأعمى ما يدل على التوسل به ودعائه والالتجاء اليه بعد وفاته وانما فيه انه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء وقد قال تعالى (وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) وقال تعالى حاكياً عن المنافقين (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) فذمّ هذا الصنف بالصدّ عن ذلك فهذا كان هديهم وفعلهم في حياته ﷺ واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فلم يفعله احد منهم ولا من اهل العلم والايمان بعدهم، واما قوله وليس لمانع التوسل ان يخصه بقبل وفاته ﷺ لأن الصحابة استعملوه بعد وفاته ﷺ فالجواب ان هذا كذب على الصحابة رضي الله عنهم فان الصحيح الثابت عنهم التوسل به في حياته بدعائه واما بعد وفاته فلم يكن يفعل ذلك احد منهم وقد ثبت في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فقد بين عمر رضي الله عنه ، انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون وذلك التوسل انهم كانوا يسألونه ان يدعو الله لهم ، فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه فلما مات توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون به ولم يتوسلوا به ويستسقونه بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره وكذلك معاوية بن ابي سفيان استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي وقال اللهم : إنا نستشفع اليك بخيارنا يا يزيد ارفع يديك الى الله . فرفع يديه ودعا فسقوا

ولذلك قال العلماء : يستحب ان يستسقي باهل الصلاح والخير فاذا كان من اهل بيت رسول الله ﷺ كان احسن ولم يذكر احد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي الصالح بعد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك لا في الاستسقاء ولا في غيره من الادعية والدّعاءمخ العبادةوالعبادة مبناها على النية والاتباع وانما يعبد الله بما شرع لا بالاهواء والبدع قال الله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) وقال النبي ﷺ : انه سيكون في هذه الامة اقوام يعتدون في الدعا والطهور انتهى .

وأما قوله : (فقد اخرج البيهقي وابو نعيم في المعرفة عن ابى امامة بن سهل بن حنيف ، ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان في حاجة ، وكان عثمان لا يلتفت اليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي عثمان ابن حنيف وشكى اليه ذلك فقال ائت الميضأة فوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربي لتقضي حاجتي واذكر حاجتك ثم رح حين اروح فانطلق الرجل وصنع ذلك ثم اتا باب عثمان فجاء البواب فأخذه بيده وادخله على عثمان فاجلسه معه على الطنفسة فقال : انظر ما كان لك من حاجة ، ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت اليّ حتى كلمته ، قال ما كلمته ، ولكن رأيت النبي ﷺ وجاءه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره ، فقال له او تصبر قال يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي فقال : ائت الميضاة فتوضأ وصلي ركعتين ثم قال اللهم اني اتوجه بك الى ربي ليجلي بصري اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي ، قال عثمان : فوالله ما تفرقنا حتى دخل الرجل كان لم يكن به ضرر) انتهى من شرح الخصائص -

فالجواب : ان في سند هذا الحديث مقالا وقدره الطبراني وفي سنده روح ابن صلاح وقد ضعفه ابن عدي بل قد قال بعضهم : ان امارات الوضع لائحة عليه فكيف يعارض جميع كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعمل أصحابه

رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ؟ وهل سمعت احداً منهم جاء اليه بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لا سيا والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه فلو صح عند احدهم ادنى شيء من ذلك لرأيت اصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمرا زمرا خصوصاً في الفتن الكباب التي جرت بزمنهم ويصدهم على الاسلام والمسلمين ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ولا يسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين . نعم كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي القبر المكرم ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا ابت . ثم ينصرف ، وكذلك انس وغيره فاذا ارادوا الدعاء إستقبلوا القبلة ،ثم اعلم ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد) . واما دعوى هؤلاء الغلاة ان الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته فان هذا مما يعلم بالضرورة انه من الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ولما عدل الفاروق الى التوسل بدعاء العباس ومعاوية بيزيد بن الاسود الجرشي ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم ان يتوسلوا بالنبي ﷺ ولا يطلبون من العباس ان يدعوا لهم، ومما يوضح لك الامر أن هذا الحديث غير صحيح أن رواته مختلفون في متنه وسنده مع انه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة وانما ذكره مثل البيهقي والطبراني والترمذي وابو نعيم ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الاحاديث الضعيفة او الموضوعة على وجه التنبيه، وقد رآى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فأعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه والله اعلم .

فصل

قال الملحد : وفي حاشية العلامة ابن حجر على الايضاح للنووي ما نصه

« وقد صح في حديث طويل ان الناس اصابهم قحط في زمن عمر فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لامتك فجاءه في النوم واخبره انهم يسقون فكان كذلك » انتهى . فالجواب ان يقال هذا الحديث الذي ذكره هذا الملحد في حاشية ابن حجر على الايضاح للنووي قد رواه البيهقي وابن ابي شيبة عن بلال بن الحارث وليس فيه دلالة على جواز دعاء النبي ﷺ والتوسل به والالتجاء اليه والاستغاثة به بل هو من جنس المنامات التي لا يعتمد عليها في الاحكام ولا يثبت بها حكم شرعي . وايضاً ففي هذا الحديث مقال مشهور قال الحافظ في الفتح : وروي ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الداري — وكان خازن عمر رضي الله عنه — قال : اصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ في المنام فقيل له ائت عمر الحديث وقد روي سيف في الفتوح ان الذي رآى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني احد الصحابة انتهى . فعلم ان ما روي باسناد صحيح ليس فيه ان الجائي احد الصحابة وما فيه ان الجائي احد الصحابة ضعيف غاية الضعف ، قال الذهبي في الميزان : سيف بن عمر الضبعي الاسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدى الكوفي مصنف الفتوح والرواة وغير ذلك هو كالواقدي يروي عن هشام بن عروة وعبدالله بن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين كان اخبارياً عارفاً روي عنه عبادة بن المفلس وابو معمر القطيعي والنضر بن حماد العتكي وجماعة ، قال عباس عن يحي ضعيف ، وروى مطين عن يحيى فليس خير منه . قال ابو داود : ليس بشيء ، وقال ابو حاتم : متروك ، وقال ابن حبان : اتهم بالزندقة ، وقال ابن عدي : عامة حديثة منكر ، قال مكحول البيروني : سمعت جعفر بن ابان سمعت ابن نمير يقول : سيف الضبعي تميمي كان جميع يقول : حدثني رجل من بني تميم كان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة انتهى ملخصاً قال الحافظ في التقريب سيف بن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في الاخبار

افحش ابن حبان القول فيه انتهى . وقال الذهبي في الكاشف : قال ابن معين وغيره ضعيف ، وقال في الخلاصة سيف بن تميم الاسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفي وابي الزبير وعنه محمد بن عيسى الطباع وابو معمر الهذلي ضعفوه انتهى . فهذا ما قيل في حديث بلال بن الحارث الذي رواه البيهقي وابن ابي شيبة فان كان الذي رواه الحافظ في الفتح وعلى الايضاح للنووي ففيه ما قال الحافظ من المقال آنفاً وان كان غير ذلك فغاية ما فيه انه رآى رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فان هذا قد يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ .

قال شيخ الاسلام: وايضاً ما يروي ان رجلا جاء الى قبر النبي ﷺ فشكى اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره ان يأتي عمر فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس فان هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ واعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ او لغيره من امته حاجة فتقضي له فان هذا قد وقع كثيراً وليس مما نحن فيه وعليك ان تعلم ان اجابة النبي ﷺ او غيره لهؤلاء السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال فانه هو القائل ﷺ ان احدهم ليسألني المسألة فأعطيه اياها فيخرج يتأبطها ناراً فقالوا يا رسول فلم تعطيهم ؟ قال : يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل واكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطراب ايمانهم كما ان السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من أجيب وامر بالخروج من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا فرق بين هذا وهذا انتهى .

وهذا الحديث على تقدير ثبوت صحته لا يدل على ما يتوهمه هذا الملحد غاية ما فيه انه سأل النبي ﷺ ان يستسقي لامته فأمره ان يأتي عمر فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس فكان المستسقي بالناس عمر لا رسول الله ﷺ ، فتبين من هذا انه لا تطلب السقيا الا من الحي بدعائه لا من الميت لامره ﷺ

بذلك وخروج عمر بالصحابة يستسقون فسقوا والله اعلم .

فصل

قال الملحد : واخرج البيهقي والحاكم والطبراني في الصغير وابو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ؟ قال : لانك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً « لا اله الا الله محمد رسول الله » فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الي واذ سألتني بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك . والجواب : ان يقال هذا حديث ضعيف بل موضوع فلا يعتمد عليه ولا يعول عليه ، قال الذهبي في الميزان عبدالله بن مسلم ابو الحارث الفهري عن اسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم خبراً باطلا فيه يا آدم لولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في « دلائل النبوة » قال في « مجمع الزوائد » : رواه الطبراني في (الاوسط) و (الصغير) وفيه من لا اعرفهم انتهى . وذكر الحافظ بن عبد الهادي عن الامام مالك رضي الله عنه انه قال فيه : اذهب الى عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يحدثك عن ابيه عن نوح . وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن اسلم حدثك ابوك عن ابيه عن جده ان سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين . قال نعم وقال ابن خزيمة عبد الرحمن بن زيد ليس ممن يحتج اهل العلم بحديثه . وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني حدث عن ابيه لا شيء . وقال ايضاً في الصارم المنكي واني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم الذي رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم ولولا محمد ما خلقتك مع انه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد جداً وقد حكم عليه بعض الائمة بالوضع

وليس إسناده من الحاكم الى عبد الرحمن بن زيد صحيحاً بل هو مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه، ولو كان صحيحاً الى عبد الرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به، لان عبد الرحمن في طريقه. وقد اخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في غير موضع فانه قال في كتاب (الضعفاء) بعد ان ذكر عبد الرحمن منهم، وقال: ما حكيت عنه فيما تقدم انه روي عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من اهل الصنعة ان الحمل فيها عليه قال في آخر الكتاب فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لان الجرح لا يثبت إلا ببينة، فهم الذين ابين جرحهم لمن طالبني به فان الجرح لا استحله تقليداً، والذي اختاره لصاحب هذا الشأن ان لا يكتب حديثاً واحداً من هؤلاء الذين سميتهم، فالراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث وهو يروي انه كذب فهو احد الكاذبين» هذا كله كلام الحاكم ابي عبدالله صاحب المستدرك، وهو متضمن ان عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل، وان الراوي لحديثه داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث وهو يروي انه كذب فهو احد الكاذبين» انتهى. فتبين من كلام العلماء حملة السنة واهل الجرح والتعديل الذين حفظ الله بهم الدين عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الزائغين ان هذا الحديث موضوع مكذوب لا يعتمد عليه واقل احواله ان يكون ضعيفاً ولا نقول على رسول الله ﷺ حديثاً لا نجزم بصحته وثبوته وان كان قد صححه الحاكم فالجراح مقدم على التعديل مع انه قد قال في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما قال فنأخذ بقوله مع اقوال ائمة هذا الشأن ولا نأخذ بغلطه وخطائه فيما اخطأ فيه. اذا عرفت هذا وتحققته فالصحيح المأثور عن ائمة التفسير على قوله تعالى «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» ان هذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالى «ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» وهذا مروي عن سعيد ابن جبير ومجاهد وابي العالية والربيع بن انس والحسن وقتادة ومحمد بن

كعب القرضي وخالد بن معدان وعطا الخراساني وعبد الرحمن بن زيد وعن بن عباس قال علم شأن الحج وعبيد بن عمير انه قال قال آدم «يا رب خطيئتي التي اخطأت شيء كتبته علي قبل ان تخلقني او شيء ابتدعته من قبل نفسي» ؟ قال بل كتبته عليك قبل ان اخلقك. قال فكما كتبته علي فاغفر لي. قال فذلك قوله «فتلقى آدم من ربه كلمات» وعن بن عباس قال آدم عليه السلام : الم تخلقني بيدك ؟ قيل له بلى . ونفخت في من روحك ؟ وقيل بلى . وعطست فقلت يرحمك الله وسبق رحمتك غضبك ؟ قيل بلى . وكتبت علي ان اعمل هذا ؟ قيل له بلى . قال افرأيت ان تبت هل انت راجعي الى الجنة ؟ قال نعم . وكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد ورواه الحاكم في مستدركه الى ابن عباس وروي بن ابي حاتم حدثنا مرفوعاً شبيهاً بهذا وعن مجاهد قال الكلمات (اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم) هذا ما عليه المفسرون لا ما قاله هذا الاحمق فان كان بعض من لا بصيرة له قد ذكره فالحجة فيما ثبت عن الصحابة وعن سلف الامة وائمتها ولا يجوز تفسير القرآن باقوال شاذة او موضوعة لا تثبت عند اهل العلم والحديث وائمة التصحيح والترجيح انتهى .

واما قول هذا الملحد: قال في المواهب اللدنية روي انه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقروناً باسمه تعالى ، فقال : يا رب هذا محمد من هو ؟! قال الله : هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك . فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد . فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك .

فالجواب ان نقول : هذا من نمط ما قبله من الموضوعات المكذوبات التي لا اصل لها في الكتاب والسنة ولا رواها احد ممن يعتمد عليه من الائمة فلا

يلتفت اليه ولا يعول في الحكم عليه والله اعلم .

وأما قوله : ولله در من قال :

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا ... واثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد في (عدن) ضياءاً مشعشعاً ... يزيد على الأنوار في الضوء والهدى
فقال : آلهي ما الضياء الذي ارى ... جنود السماء تعشو اليه ترددا ؟
فقال : نبي خير من وطيء الثرى ... وافضل من في الخير راح او اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا ... والبسته قبل النبيين سؤددا
واعددته يوم القيامة شافعاً ... مطاعاً اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في انقاذ كل موحد ... ويدخله جنات عدن مخلدا
وان له اسماء سميته بها ... ولكنني احببت منها (محمدا)
فقال : الهي امنن علي بتوبة ... تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي ... خصصت بها دون الخليقة (احمدا)
اقلني عثاري يا الهي فان لي ... عدواً لعيناً جار في القصد واعتدا
فتاب عليه ربه وحماه من ... جناية ما اخطاه لا متعمدا

والجواب ومن الله استمد الصواب : —

اقول لعمري ما لهذا حقيقة ... ولو صح هذا القول او كان مسندا
لما طعن الحفاظ فيه واوهنوا ... اسانيده حتى غدا واهياً سدا
ولو صح هذا في فضائل (أحمد) ... لكان به الحفاظ اولى واسعدا
فما كان في الفردوس (آدم) في الصبا ... يشاهد في (عدن) ضياءاً ممددا
يزيد على الانوار نور ضيائه ... (جنود السماء تعشو اليه ترددا)
(فقال : نبي خير من وطيء الثرى ... وافضل من في الخير راح او اغتدى)
فلم ير في الفردوس هذا ولم يقل ... آلهي ما هذا الضياء الذي بدا
نعم كان في المعلوم ان نبينا ... (محمد) المعصوم قد كان اوحدا
فليس له في الخلق حتما مماثلا ... يماثله في الفضل والجود والندا
ولكنه ما قيل هذا لآدم ... فننفي الذي ما قيل والفضل قد بدا

ولا قال في الفردوس يوماً لآدمٍ ... (تخيرته من قبل خلقك سيدا)

(واعددته يوم القيامة شافعاً ... والبسته قبل النبيين سؤددا)

ولا قال في الفردوس يوماً لآدم ... يخاطبه فيها خطاباً مؤكدا

(وان له اسماء سميته بها ... ولكنني احببت منها محمدا)

(فقال آلهي امنن علي بتوبة ... تكون على غسل الخطيئة مسعدا)

(بحرمة هذا الإسم والزلفة التي ... خصصت بها دون الخليقة احمدا)

فكل الذي قد قال ما صح نقله ... ولا قيل في الفردوس هذا ولا بدا

وسيدنا المعصوم افضل خلقه ... ولا شك في هذا الذي من تسودا

فكان لعمري سيداً ذا جلالة ... ببعثته زال الظلام وابعدا

ومات ودين الله للناس واضح ... ومهيعه قد كان نهجاً معبدا

وغادر في اتباعه النور فاهتدوا ... فكانوا على هذا الضياء وفي الهدى

فكان لهم يوم القيامة شافعاً ... لاخلاصهم في الدين اذ كان احمدا

واعداؤه في ظلمة الكفر والهوى ... قد انهمكوا في الغي والجهل والردى

فليس لهم يوم القيامة شافعاً ... لاشراكهم جهلا والا تعمدا

فدع ذا ولا يغررك الوان وشيه ... فليت لعمرو الله محكمة السدى

فذاك من الموضوع اذ كان لم يكن ... رواه عن الاعلام من كان سيداً

فسيدنا المعصوم اكمل خلقه ... واكرمهم بيتاً ونفساً ومحتداً

وان له فضلا عن الناس كلهم ... يزيد على هادي الاقاويل مسندا

رواه عن المعصوم حفاظ دينه ... ومنهم به كانوا احق واسعدا

واعظم مما قاله الكسم والذي ... روي عنه في المعصوم دراً منضدا

ففيما روى الحفاظ في حق (احمد) ... من الفضل ما يغني اولى الدين والهدى

عن الكذب الموضوع والحق واضح ... وان لم ير ذا الحق من كان ارمدا

وخال سفاها ان ما قال فرية ... مجاوزة للحد أهدى وارشدا

لعمري لقد اخطأ من الحق مهيعاً ... سوياً سمياً مستقيماً ممهدا

وام طريقاً مظلماً غير ناصع ... ولا مستقيم قد غلا فيه واعتدا

لعمري لقد اعطاه ربي فضائلا | وخص بها الرحمن فضلا محمدا
فاعطى لواء الحمد والكوثر الذي | حباه اله العرش حقاً واطمدا
وان له حوضاً هنيئاً شرابــه | به يشرب التقي كأساً مشددا
واحلى من الشهد المصفى عذوبـة | وغشـه ينحي من عتا وتمردا
ويشفع في يوم القيامـة للورى | ليحكم بين الخلق ذو العرش بالهدى
ويقعده سبحانـه فوق عرشه | كما جاء هـذا في الاحاديث مسندا
فيغبطـه كل الخلائـق جملة | بما قد حباه الله فضلا واقصدا
وقد خصه المولى بما لم تحط بـه | وخصية علما او حسابا محددا
فدع عنك ما قال الغلاة وان رووا | بذلك اخباراً ودراً منضدا
فاخبارهم موضوعـة ونظامهم | لعمر ألمي باطل واهي السدى

فصل

قال الملحد : وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك واسألك بحق ممشاي هذا اني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة وانما خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي ، انه لا يغفر الذنوب الا انت ، اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك » رواه ابن ماجة ورواه ابن السني باسناد صحيح عن بلال؛

والجواب ان يقال : هذا الحديث ضعيف رواه عطية العوفي وفيه ضعف؛ قال شيخ الاسلام: (ولكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه ان يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم ، فالسؤال له والطاعة له سبب لحصول اجابته واثابته ، فهو من التوسل به والتوجه والتسبب به ولو قدر انه قسم لكان قسماً بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من افعـاله واقواله فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح واعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على

نفسك » . والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام احمد وغيره من الائمة) الى آخر كلامه رحمه الله . فتبين من كلام الشيخ ان السؤال بحق السائلين هو اجابتهم وسؤاله بحق الطائعين اثابتهم فيكون السائل بهذين سائلا بصفات الله فان الاجابة والاثابة من افعاله واقواله سبحانه وتعالى وسؤال الله بأسمائه وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى : (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن عبدالله بن بريدة عن ابيه (ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول اللهمّ اني اسألك بأن لك الحمد لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد فقال ادع الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب) رواه الترمذي وابو داود الى غير ذلك من الاحاديث وكذلك التوسل بالاعمال الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة . كما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « بينما ثلاثة نفر يتماشون اخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه ، فليس في حديث ابي سعيد الخدري ما يدل على ما ادعوه من التوسل بذوات الانبياء والاولياء والصالحين فضلا عن دعائهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

واما قوله : ومما جاء عنه ﷺ من التوسل قوله « اغفر لأمي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي » الى آخره » فالجواب : ان هذا من نمط ما قبله وقد تقدم الكلام على جنسه وفي سنده روح بن صلاح المصري ضعفه ابن عدي وتصحيح الحاكم لا ان يجدى شيئاً وقد تقدم عن اهل العلم انه لما جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الاحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة وقد روى فيه لجماعة من المجروحين في كتابه في الضعفاء انتهى . واما روايه الطبراني له ، فيقال في هذا الملحد كم في الطبراني من حديث يخالف هذا ويدلّ على وجوب التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته واثابة الوجوه اليه ؟ فما اعمى عينك عنها ! هل هناك شيء اعماها سوى

الجهل والهوى ؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد . وقال شيخ الاسلام : قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت احداً قال بجوازه الا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه افضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفي على علماء الأمة لم يعلموا ما دل عليه ثم لو سلمنا صحته او حسنه ففيه ما مر في حديث الاعمى ان المراد بدعاء نبيك الى آخره واي وسيلة بذوات الانبياء لمن عصى امرهم وخرج عما جاؤا به من التوحيد والشرع قال شيخ الاسلام : فاذا قال الداعي اسألك بحق فلان وفلان لم يدع له وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص او محبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب انتهى .

فصل

قال الملحد : وفي الاذكار للنووي ما نصه روينا في كتاب ابن السني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان الله عز وجل في الارض حاضراً سيحبسه . والجواب : ان يقال : هذا حديث فيه مقال فان فيه روح بن حسان وهو ضعيف قال الذهبي في الميزان او معروف ابن حسان ابو معاذ السمرقندي عمر بن ذر قال ابن عدي منكر الحديث قد روي عمر ابن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة وعلى تقدير صحته انما يفيد نداء حاظر كنداء زيد عمرواً مثلاً ليمسك دابة او ليرجمها او ليناوله ماء او طعاماً او نحو ذلك وهذا مما لا نزاع فيه ، غاية ما في الباب ان عمروا مثلاً محسوس وهؤلاء لا يرون لأنهم اما مسلمو الجن او ملائكة متكلمون لا نداء على شيء يقدر عليه الا الله تعالى . واين هذا من الاستغاثة باصحاب القبور من الاولياء والمشائخ ؟ والمقصود انه ليس في الحديث الا نداء الأحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الأحياء عليه وذلك لا ننكره .

واما قول هذا الملحد : واما ما تمسك به الوهابية من قوله لابن عباس اذا

سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما انت لاق فلو جهدت الخليقة على ان تنفعك لم تنفعك الا بشيء كتبه الله لك ولو جهدت على ان تضرك لم تضرك الا بشيء كتبه الله عليك ، فلا يدل على عدم التوسل لان المتوسل الى الله برسوله ما سأل الا الله ولا استعان الا به مع اعتقاده بان النفع والضر صادر منه سبحانه وتعالى. فالجواب ان نقول: نعم هذه كانت حال (الوهابية) فانهم كانوا يتمسكون بكتاب الله وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ ويعملون به ويتركون ما خالف الكتاب والسنة ويعملون بما كان عليه سلف الامة وائمتها ولا يحدثون في دين الله ما لم يشرعه الله ورسوله فهم بخلاف من نبذ كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولو جهد اعداء الله ممن خالف الوهابية ان يستدركوا على الوهابية في اصول الدين وفروعه انهم استدلوا على ما يذهبون اليه بحديث موضوع او ضعيف لا يصح الاحتجاج به لما وجدو الى ذلك سبيلا فضلا من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم . وهذا الحديث خرجه الترمذي من حديث حنش الصنعاني عن ابن عباس، وقال : حديث حسن صحيح ، وخرجه الامام احمد من حديث حنش الصنعاني ثم وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن ابي رباح وعمرو ابن دينار وعبيدالله بن عبدالله وعمر مولى عفرة وابن ابي مليكة وغيرهم . قال الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى على هذا الحديث : وقوله ﷺ اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله هذا منتزع من قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فان السؤال هو دعاؤه والرغبة اليه والدعاء هو العبادة كما روي عن النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير وتلا قوله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) خرجه الامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وخرج الترمذي من حديث انس بن مالك عن النبي ﷺ (الدعاء مخ العبادة) فتضمن هذا الكلام ان يسأل الله عز وجل ولا يسأل غيره وان يستعان بالله

دون غيره ، وأما السؤال فقد أمر الله بسؤاله ، فقال (واسألوا الله من فضله) وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً: اسألوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل ، وفيه ايضاً عن ابي هريرة مرفوعاً من لم يسأل الله يغضب عليه ، وفي حديث آخر يسأل احدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله اذا انقطع، وفي النهي عن مسألة المخلوقين احاديث كثيرة صحيحة وقد بايع النبي ﷺ جماعة من اصحابه على ان لا يسألوا الناس شيئاً منهم ابو بكر الصديق وابو ذر وثوبان ، وكان احدهم يسقط السوط وخطام ناقته فلا يسأل احداً ان يناوله إياه وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي عبيدة بن عبدالله بن مسعود ، ان رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ان بني فلان اغاروا علي فذهبوا بابني وابلي . فقال النبي ﷺ: أن آل محمد كذا وكذا اهل بيت مالهم مد من طعام او صاع فاسأل الله عز وجل ، فرجع الى امرأته فقالت مالك ؟فاخبرها فقالت : نعم ما رد عليك ، فما لبث ان رد الله عليه ابله وابنه اوفر ما كانت ، فاتى النبي ﷺ فاخبره فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وامر الناس بمسألة الله عز وجل والرغبة اليه وقرأ (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ : ان الله عز وجل يقول : « هل من داع فاستجيب له دعاءه ؟هل من سائل فاعطيه سؤله هل من مستغفر فاغفر له »؟ وخرج المحاملي وغيره من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال الله تعالى : من ذا الذي دعاني فلم اجبه ويسألني فلم اعطه واستغفرني فلم اغفر له وانا أرحم الراحمين ؟ انتهى . واما قوله: فلا يدل على عدم التوسل ، لان المتوسل الى الله برسوله ما سأل الا الله ولا استعان الا به مع أعتقاده بان النفع والضر صادر منه سبحانه وتعالى . فالجواب ان نقول : اما دعواه ان المتوسل الى الله برسوله ما سأل الا الله ولا استعان الا به من أقبح الكلام وابطل الباطل والمحل المحال وهو مصادم لقوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فان تقديم المفعول وهو « اياك » وتكريره للاهتمام والحصر أي لا نعبد الا اياك ولا نتوكل الا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة والدين كله

يرجع الى هذين المعنيين ، فالاول التبرىء من الشرك ، والثاني التبرىء من الحول والقوة ، فقوله ، (اياك نعبد) اي اياك نوحد ، ومعناه انك تعاهد ربك ان لا تشرك في عبادته احداً لا ملكاً ولا نبياً ولا غيرهما ، فان السؤال هو دعاؤه والرغبة اليه والدعاء هو العبادة وقوله (اياك نستعين) هذا فيه سؤال الله الاعانة وهو التوكل والتبرىء من الحول والقوة وفرق بين سؤال الله وسؤال رسوله ، ومن قال ان المتوسل الى الله برسوله ما سأل الا الله ولا استعان الا به لم يفرق بين الخالق والمخلوق ، والمسؤول والسائل وهذا هو حقيقة مذهب الاتحادية وكفى بسلوك طريق اهل الوحدة ضلالاً وخروجاً عن الصراط المستقيم . وان كان اراد هذا الملحد ان المتوسل الى الله برسوله ما سأل ولا استعان الا بالله يعني ان المسؤول والمستعان به في الحقيقة هو الله واما النبي ﷺ فهو واسطة بينه وبين السائل المستعين ، فهو سبحانه وتعالى المسؤول المستعان به حقيقة منه بالخلق والايجاد والنبي ﷺ مستعان مسؤول منه بالكسب والتسبب العادي فان كان اراد هذا فهذا هو فعل المشركين الذين بعث الله فيهم رسوله ﷺ فانهم كانوا يعلمون ان الله تعالى هو الخالق الموجد النافع الضار ،واما الاصنام وغيرهم من الملائكة والاولياء والصالحين ، فيقولون انها اسباب ووسائل عادية فمن اجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم والدعاء والنذر والذبح والاستغاثة والسؤال والاستعانة والاستعاذة كلها من اقسام العبادة واذا حملتم لفظ الدعاء والاستغاثة والاستعانة والنحر والنذر التي هي من اقسام العبادة على معناها المجازي فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الاولين الذي حكا الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق واني ذلك ؟ . فاذا عرفت هذا فاعلم ان سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين لان السؤال فيه اظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار وفيه الاعتراف بقدر المسؤول على دفع الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودفع المضار ولا يصلح الذل والافتقار الا الله وحده لانه حقيقة العبادة ،

وكان الامام احمد رحمه الله يدعو ويقول : اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك ، كما قال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) والله تعالى يحب ان يسأل ويرغب اليه في الحوائج ويلح في سؤاله ودعائه ويغضب على من لا يسأله ويستدعي من عباده سؤله وهو قادر على اعطاء خلقه كلهم سؤالهم من غير ان ينقص من ملكه شيء والمخلوق بخلاف ذلك كله يكره ان يسأل ويحب ان لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته ، ولهذا قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك : ويحك تأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه ويقول ادعني استجب لك ! وقال طاووس لعطاء : اياك ان تطلب حوائجك الى من اغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيامة امرك ان تسأله ووعدك ان يجيبك .

واما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل فمن اعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول ، وهذا تحقيق معنى قول « لا حول ولا قوة الا بالله » فان المعنى لا تحول للعبد من حال الى حال ولا قوة له على ذلك الا بالله ، وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة فالعبد محتاج الى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من اهوال البرزخ ويوم القيامة ولا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله اعانه ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله الى من استعان به فصار مخذولاً ، كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله فيكلك الله اليه ومن كلام بعض السلف : يارب عجبت لمن يعرفك

كيف يستعين لغيرك ؟انتهى .

فصل

قال الملحد : الباب الثالث : في اقوال العلماء العاملين الذين هم ائمة الدين بالتوسل بالانبياء والصالحين وفي الخصائص ، واختص ايضاً بجواز القسم به على الله الكريم المنعم واختص ﷺ بجواز ان يقسم على الله بـه ، وفي المواهب اللدنية قال : ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصوراً على النبي ﷺ لأنه سيد ولد آدم وان لا يقسم على الله بغيره من الملائكة والانبياء والاولياء لأنهم ليسوا في درجته وان يكون هذا مما اختص به لعلو درجته ومرتبتـه . انتهى والجواب : ان يقال : ان مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين قد نص على المنع منها جمهور اهل العلم بل ذكر الشيخ في رده على ابن البكري انـه لا يعلم قائلا بجوازه الا ابن عبد السلام في حق النبي ﷺ ولم يجزم بذلك بل علق القول به على ثبوت حديث الاعمى وصحته وفيه من لا يحتج به عنـد اهـل الحديث ولم يجز التوسل بالنبي ﷺ ولا بالانبياء والصالحين احد ممن يعتد بـه ويقتدى به كالائمة الاربعة وامثالهم من اهل العلم والحديث ، قـال شيخ لاسلام : بل لو اقسم على الله ببعض خلقه من الانبياء والملائكة وغيرهم لنهي عن ذلك ولو لم يكن عند قبره كما لا يقسم بمخلوق مطلقاً وهـذا القسم منهي عنه غير منعقد باتفاق الائمة وهل هو نهي تحريم او تنزيه على قولين اصحهما انه نهي تحريم ولم يتنازع العلماء الا في الحلف بالنبي ﷺ خاصة فان فيه قولين في مذهب احمد وبعض اصحابه كابن عقيل لطرد الخلاف في الحلف بسائر الانبياء لكن القول الذي عليه جمهور الائمة كمالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم انه لا ينعقد اليمين بمخلوق البتة ولا يقسم بمخلوق البتة وهذا هو الصواب ، والاقسام على الله بنبيه محمد ﷺ ينبني على هذا الاصل ، ففي هذا النزاع ، وقد نقل عن احمد في التوسل بالنبي ﷺ في منسك المروذي ما يناسب قوله بانعقاد اليمين ، لكن الصحيح انه لا تنعقد اليمين به فكذلك هذا . ثم قال هذا الملحـد :

وخالف في ذلك بعضهم فجوزوا القسم على الله تعالى بكل نبي بل جوّز بعضهم التوسل بالصالحين حتى قال الاستاذ ابو العباس المرسي الشاذلي : من له حاجة الى الله تعالى فليتوسل في قضائها بأبي حامد الغزالي . فالجواب : ان نقول لا يجوز الاقسام على الله بخلقه لا الانبياء ولا غيرهم باتفاق الائمة ، كما حكاه شيخ الاسلام آنفاً وحكى الخلاف في النبي ﷺ خاصة قال واما غيره فما علمت بين الامة فيه نزاعاً بل قد صرح العلماء بالنهى عن ذلك واتفقوا على ان الله يسأل ويقسم عليه باسمائه وصفاته كما تقدم بيانه مراراً ، واما قول الشاذلي : من كانت له حاجة الى الله فليتوسل في قضائها بأبي حامد الغزالي . فاقول : قد كان من المعلوم ان الشاذلي هذا من الغلاة وليس من اهل العلم المعروفين بالصلاح والدين ولا من حملة سنة سيد المرسلين بل من الدعاة الى عبادة الاولياء والصالحين فلا حجة في قوله وقد تكلم العلماء في ابي حامد الغزالي ، فقال الفقيه ابن العربي المالكي : شيخنا ابو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم اراد ان يخرج فلم يحسن الخروج . هذا كلام تلميذه وهو من اعرف الناس به ، وقال ابو بكر الطرطوشي : شحن ابو حامد كتاب الاحياء بالكذب على رسول الله ﷺ وما على بسيط الارض اكذب منه شبكه بمذاهب الفلسفة ومعاني رسائل اخوان الصفا وهم قوم يرون النبوة مكتسبة زعموا ان المعجزات حيل ومخاريق انتهى ، فاذا كان هذا كلام العلماء في ابي حامد مع انه لو كان سالماً من القول المذكور وكان في درجة احد من الصحابة او افاضل التابعين والأئمة المقلدين لم يكن التوسل به جائزاً بعد مماته وانه يقضي حاجة من سأله قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وقد منع العلماء ذلك في حق جميع الانبياء فضلاً عمن دونهم ووقع النزاع في الحلف بنبينا ﷺ على القول بصحة الحديث ، ولا يصح فكيف الحال بالشاذلي الذي يدعو الناس الى التوسل الى الله في قضاء حوائجهم بأبي حامد وقد عرفت ما يعنون هؤلاء الغلاة بالتوسل انه دعاء الاموات والغائبين والالتجاء اليهم في طلب الحوائج وكشف الكربات واغاثة اللهفات والاستغاثة بهم في جميع الطلبات وقد ذكر شيخ الاسلام ان ابا

حامد الغزالي رجع عن مقالاته وندم على هفواته ورطاته ومات والبخاري على صدره ، فيكون المقصود بالكلام ردماً في كلامه من الباطل وابطال قول من زعم ان من كانت له حاجة الى الله فليتوسل في قضائها بأبي حامد لان العلماء قد منعوا من ذلك في حق من هو افضل منه فكيف به وبامثاله .

فصل

قال الملحد : قال السبكي : ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين اهل الاسلام مثلة . انتهى . والجواب ان يقال قد تقدم الكلام على التوسل وما يراد به في لغة الصحابة والتابعين والائمة المهتدين وما يراد به في عرف هؤلاء الغلاة المنحرفين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين ، واما الاستغاثة والتشفع بالنبي الى ربه ، فروي الطبراني انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله ،فقوله قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق لأنه ﷺ يقدر على كف اذاه ، واما قوله انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله ، فيه النص على انه لا يستغاث بالنبي ﷺ ولا من دونه كره ﷺ ان يستعمل هذا اللفظ في حقه وان كان مما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك وادباً وتواضعاً لربه وتحذيراً للامة من وسائل الشرك في الاقوال والافعال فاذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته فكيف يجوز ان يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه اموراً لا يقدر عليها الا الله عز وجل ومن المعلوم بالضرورة ان الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب

العون ، وقال ابو عبدالله الحليمي الغياث هو المغيث واكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عبـــاده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، وقال ابو يزيد البسطامي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق ، وقال الشيخ ابو عبدالله القرشي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون وفي دعاء موسى عليه السلام « اللهم لك الحمد واليك المشتكي وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله » ولما كان هذا المعنى هو المفهوم عند الاطلاق وكان مختصاً بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ، ولهذا لا يعرف عن احد من ائمة المسلمين انه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله وكذلك الاستعانة ايضاً منها ما لا يصح الا الله وهي المشار اليهـــا بقوله « اياك نعبد واياك نستعين » فانه لا يعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله وقال ابن القيم رحمه الله : ومن انواعه – أي الشرك – طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم وهو اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به وسأله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فانه لا يقدر ان يشفع له عند الله إلا باذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه وانما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة اهل التوحيد ونسبة اهله الى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك واوليائـــه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم امروهم به وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم اعداء الرسل في كل زمـــان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه وآلهه ومعبوده فجرد حبـــه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله والتجاءه الى الله واستغاثته بالله وقصده لله فهو لله وبالله ومع الله انتهى . وامـــا قوله : ولم

ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيميه فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين اهل الاسلام مثله ، فاقول ان هذا الكلام كلام من لا يخاف الله ولا يتقيه فانه قد كذب فيما قاله وافترى وقد خاب من افترى ، واكمل الناس واكرمهم على الله سيد ولد آدم انكر هذا وقال انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله ، وقال ﷺ (لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده) ولو كان عند هذا الرجل من الدين ما يزعه ومن الحياء ما يردعه ما فاه بهذه المخرقة فانه قد سبق شيخ الاسلام على ذلك الأئمة الأعلام سلفاً وخلفاً وما خالفهم في ذلك الا كل من لا يعتد به ولا يعتمد عليه في الخلاف والوفاق وقد تقدم كلام ابي عبدالله الحليمي وكلام ابي يزيد البسطامي وابي عبد الله القرشي وكلام العلماء في ذلك سلفاً وخلفاً كثير جداً لا يخفى إلا على من اعمى الله بصيرته وقد اشتهر وظهر عند الخاص والعام من عدل شيخ الاسلام وانصافه ان ليس عنده في مسائل الفروع ميل إلا الى ما دل عليه الكتاب والسنة واذا ذكر المسألة فانه يذكر فيها مقالات الائمة الاربعة واصحابهم وغير اصحابهم ممن بعدهم او قبلهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ويذكر دليل كل قول وتقريره على وجه لا يكاد يوجد في الكتب المصنفة لهم فكيف في مسائل اصول الدين التي ليس بين الامة في مسائلها المشهورة خلاف وانما يخالف فيها اهل الأهواء والبدع وهو من اعرف خلق الله بمذاهب اهل الاهواء ووقت حدوثها .

قال الامام الذهبي : في معجم شيوخه هو شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للأمة وامراً بالمعروف ونهياً عن المنكر سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصله غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال ميال واستنبط منه اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل وفاق الناس في

معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوي الصحابة والتابعين واتقن العربية اصولاً وفروعاً ونظر في العقليات وعرف اقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ونصر السنة بأوضح حجج وابهر براهين واوذي في الله تعالى من المخالفين واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى اعلى الله تعالى مناره وجمع قلوب اهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت اعداءه وهدى به رجالاً كثيراً من اهل الملل والنحل وجبل قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته واحيا به الشام بل الاسلام بعد ان كاد ينثلم خصوصاً في كائنة التتار وهو اكبر من ان ينبه على سيرته مثلي فلو حلفت بين الركن والمقام اني ما رأيت بعيني مثله وانه ما رآى هو مثل نفسه لما حنثتُ فانظر الى ما قاله هذا الامام المنصف من انه من اعرف خلق الله بمذاهب اهل الاهواء ووقت حدوثها وانه نصر السنة بأوضح حجج وابهر براهين وانه اوذى في الله تعالى ومن جملتهم هذا الرجل لأنه من المخالفين واخيف في نصر السنة حتى اعلا الله تعالى مناره وجمع قلوب اهل التقوي على محبته والدعاء له . وهذا الرجل لو كان عند اهل العلم ممن يتقى الله لكان من جملة اهل التقوى المحبين له والداعين له وان الله كبت اعداءه وهدى به رجالاً كثيراً من اهل الملل والنحل وان الله احيا به الشام بل الاسلام الى غير ذلك مما ذكر في فضله، وهذا الرجل — عامله الله بعدله — يقول : « ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله » الى آخر كلامه وانما حمله على هذا الكلام الحسد والهوى وعدم خشية الله والغلو الذي خرج به عن الصراط المستقيم وسلوك طريق أئمة الدين من الصحابة والتابعين والائمة المهتدين الذين لهم قدم صدق في العالمين فشيخ الاسلام هو الذي نصر الله به السنة وقمع به اهل البدعة فصاروا ببدعتهم مستترين واعز الله به الاسلام بعد ان كاد ينثلم ، وقال الامام محمد التافلاني مفتي الحنفية بعد كلام له : وقد اثنى عليه جمهور معاصريه وجمهور من

تاخر عنه وكانوا خير مناصريه وهم ثقاة صيارفة حفاظ عريفهم في النقد دونـه عريف عكاظ وطعن فيه بعض معاصريه بسبب امور أشاعها مشيع لحظ نفسه او لاجل معاصرة التي لا ينجو من سمها الا من قد كمل في قدمه فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ورماه بعظائم موجبة للتعزير والحد ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الامام علي ومعاوية فقال« تلك دماء طهر الله منها سيوفنا افلانطهر منها السنتنا »لنجا من هذا العنا وهذا الامام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى واطلع عليهـا القاصي والداني من علماء الورى فما وجدوا فيها عقيدة زائغة ولا عن الحق رأينه كم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال وكم رماهم بصواعق براهين محرقة كالجبال تنادي عقيدته البيضاء بعقيدة السلف ولا ينكر صحتها وافضليتها من خلف منـــا ومن سلف شهد له الاقران بالاجهاد ومن منع له فقد خرط بكفه شوك القتاد ، وقال الامام الحافظ بن عبد الهادي في رده على السبكي لما قال ان المبالغة في تعظيمه اي الرسول واجبة، فقال: ان اريد به المبالغة بحسب ما يراه كل احد تعظيما حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به واعتقاده انه يعلم الغيب وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وانه يقضي حوائج السائلين ويفرج الكروب وانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغـــة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين . انتهى . ولو ذهبنا نذكر ما ذكره العلماء في مناقبه وفضائله وما ردوا به على مخالفيه في هذه المباحث لطال الكلام ، فاذا تحققت ما ذكره اهل العلم في شيخ الاسلام تبين لك ان السبكي هو الذي خرج عن الصراط المستقيم وخالف ما عليه الائمة من علماء المسلمين وانه هو الذي ابتدع ما لم يقله عالم قبله فصار بأفترائه وعدوانه مثلة بين اهل الاسلام ممن له معرفة بالعلوم ومدارك الاحكام فلا يلتفت الى مفترياته عاقل ولا ينظر في اساطيـل اساطيرها فاضل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

واما قوله : وروي القشيري عن معروف الكرخي انه قال لتلامذته : اذا كانت لكم الى الله حاجة فاقسموا عليه بي فاني الواسطة بينكم وبينه وذلك بحكم الوراثة عن المصطفى ﷺ انتهى . فالجواب : ان هذا من الكذب المعلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل ومقادير الأئمة الأخيار فان مثل هذه الحكاية الواهية الساقطة المنتنة المظلمة لا يتصور صدورها عمن هو دون معروف الكرخي فضلاً عن ذلك الزاهد الفاضل الا من هو من ابعد الناس معرفة بحقيقة دين الاسلام فانه لا يقول هذا ويفتريه على اهل الاسلام والعلماء العاملين إلا أمثال هؤلاء الغلاة المنحرفين الحيارى المفتونين ، فنعوذ بالله من طمس القلوب ورين الذنوب ، ثم قال هذا الملحد ، وفي الفتوحات ما نصه مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ اذ هو قطب الاقطاب فهو ممد لجميع الناس أولاً وآخراً فهو ممد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه بالغيب وممد ايضاً لكل ولي لاحق فيوصله بذلك الى مرتبة كماله في حال كونه موجوداً في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين فكل نبي تقدم زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته لتلك الشريعة انتهى . والجواب : ان نقول : ما ذكره هذا الملحد من كلام صاحب الفتوحات كلام باطل فان مستمد جميع الأنبياء والمرسلين انما هو الوحي الذي نزل به الأمين من رب العالمين ، قال الله تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (وما ارسلنا من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات

وايدناه بروح القدس) وقال تعالى (قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) وقال تعالى (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة الأية) والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً فمستمد جميع الأنبياء والرسل ما انزل الله عليهم من وحيه ، فقوله ان مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ مصادم ومناف لما تقدم من الآيات ولقوله تعالى (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) وقوله (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) وقوله (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) وهذا مبني على ان روح محمد ﷺ مخلوقة قبل جميع المخلوقات وقد تقدم بطلان هذا القول ومخالفته لصريح العقل والنقل في الكلام على ما نقله عن القسطلاني وما ذكره عن المناوي وان هذا القول مبتدع لم يقل به احد من الائمة المقتدى بهم بل هذا مبني على مذهب الفلاسفة القائلين بان الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث يتوهمها اصواتاً تخاطبه وربما قوى الوهم حتى يراها اشكالاً نورانية تخاطبه وربما قوى ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمعارفات من العقول والنفوس المجردة وهذه الحقائق تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصرف على مذهب هؤلاء . فتبين من كلام هذا الملحد ان الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لم ينزل عليهم وحي من الله كما نزل به الروح الامين على قلب محمد ﷺ وانما ذلك فيض فاض على ارواح الأنبياء من روح محمد ﷺ واستمدوا من روحه ما انزل الله عليهم وشرعه لهم من الدين ويزعمون ان الولاية اعظم من النبوة لان الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي الرسول بواسطة وينشدون : —

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون : ان ولاية النبي اعظم من نبوته ونبوته اعظم من رسالته ثم قد يدعي احدهم ان ولايته وولاية سائر الأولياء تابعة لولاية خاتم الأولياء وان جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم هي عندهم أعظم من نبوتهم ورسالتهم وانما يستفيدون العلم بالله الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من شكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في اصل ذلك ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول بواسطة ولهذا جعلوا ما يفيض في نفوسهم يجعلونه من باب المخاطبات الآلهية والمكاشفات الربانية اعظم من تكليم موسى بن عمران وهو في الحقيقة إيحاءات شيطانية ووساوس نفسانية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ، واما قوله وفي حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة . فان انوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ، فالجواب : ان يقال : ان كان اراد إنه ﷺ له قدرة على ايصال الخيرات ورفع المضرات بعد الممات فقد قال تعالى : (قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله) وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) فاذا كان هذا حاله في الحياة فما الظن به او بغيره بعد الممات ؟وان كان اراد ان الخلق يستمدون منه اي ما جاء به من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه كائناً من كان والعمل بسنته والاهتداء بهديه وترك ما نهيا عنه فقد قال ﷺ في خطبته يوم عرفه (وقد تركت فيكم ما ان تمسكتم بـه لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله) الحديث . وقال ﷺ (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك) وقال ﷺ (انها ستكون فتنا) فقلنا له ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنتـه الجن اذا

سمعته حتى قالوا(انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشدفآمنا به(من قال بهصدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعي اليه هدي الى صراط مستقيم . رواه الترمذي وقال غريب ، فاذا عرفت هذا فلا يكون الاستداد منه حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة ولكن بما ترك فينا من كتاب الله وسنة رسوله لان انوار رسالته ﷺ لا تنقطع ما عمل بالكتاب والسنة ، واما قوله فكل نبي تقدم على زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته لتلك الشريعة ، فالجواب ان نقول :هذا كلام باطل مصادم لقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) ولقوله ﷺ نحن معاشر الانبياء اولاد علات الحديث ، وقد قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ومن المعلوم بالضرورة ان الاغلال والآصار التي كانت عليهم وفي شريعتهم من قتل انفسهم وغير ذلك من الاغلال لم يكن موسى عليه السلام نائباً عن نبينا في بعثته لتلك الشريعة من التكاليف الشاقة من الآصار والاغلال التي كانت عليهم بل من بركة هذا النبي الكريم وان الله ارسله رحمة للعالمين وضع عنهم الآصار والاغلال التي كانت عليهم واحل لهم الطيبات مما حرم عليهم في التوراة من لحوم الابل والشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا ، فكان من المعلوم ان لكل رسول ارسله الله الى امته شريعة ومنهاجاً ، واما الاصل الذي هو دين الاسلام فجميع الرسل والانبياء فيه على طريقة واحدة كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) ولا حاجة بنا الى الكلام إلى استقصاء الكلام على ما ذكره من كلام صاحب الفتوحات لسقوطه وتهافته ومخالفته لصريح الكتاب والسنة فلا نطيل برد كلامه لكن هذا على سبيل التنبيه والاشارة ثم كيف يستجيز من يؤمن بالله واليوم الآخر النقل في هذه

المباحث وغيرها عن ابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات الذي هو من اكفر خلق الله وابعدهم عن سلوك الصراط المستقيم ويعد من العلماء العاملين واذا اردت حقيقة ما قلنا فانظر الى ما قاله في الفصوص قال في الأدريسة : ومن اسمائه الحسنى العلي على من وما ثم الى هو فهو العلي لذاته او عن ما ذا وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود على الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو ، الى أن قال : فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره ومن ثم من يبطن عنه فهو الظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى ابو سعيد الخزاز وغير ذلك من أسماء المحدثات ، الى ان قال : ومن عرف ما قررناه في الاعداد وان نفيها عين اثباتها علم ان الحق المنزه هو الخلق المشبه وان كان قد تميز الخلق من الخالق فالامر الخالق المخلوق والامر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة «فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر» والولد عين أبيه فما راء بذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة انسان فظهر بصورة لا بحكم ولد من هو عين الوالد وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه الى ان قال : فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق جميع الامور الوجودية والنسب العدمية بحيث لا يمكن ان يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلا وشرعاً أو مذمومة عرفاً وعقلا وشرعاً وليس ذلك الا المسمى الله خاصة . فصرح عدو الله بان الحق المنزه هو الخلق المشبه وصرح بانه المنعوت بكل نعت مذموم ومحمود وصرح بانه ابو سعيد الخزاز وغيره من المحدثات كما صرح بأن المسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو وقال ايضاً : ولما كان فرعون في منصب التحكم وانه الخليفة بالسيف وان جاز في العرف الناموسي لذلك قال انا ربكم الاعلى اى وان كان الكل ارباباً بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما اعطيته في الظاهر من التحكم فيهم ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لم ينكروه واقروا له بذلك وقالوا له انما تقتضي هذه الحياة الدنيا فاقض ما انت قاض فالدولة لك فصح قوله انا ربكم

الاعلى وان كان عين الحق الى امثال هذه الكفريات ، ولله در الامير محمد بن اسماعيل حيث يقول : —

واكفر خلق الله من قال : انه إله فان الله جل عن الند
مسماه كل الكائنات بأسرها من الكلب والخنزير والقرد والفهد
وأن عذاب النار عذب لأهلها سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وينشدنا عنه نصوص فصوصه ينادي خذوا في النظم مكنون ماعندي
وكنت امرأ من جند ابليس فارتمى بي الدهر حتى صار ابليس من جندي !!
فلو مات قبلي كنت ادركت بعده دقائق كفر ليس يدركها بعد

فمن كان بهذه المثابة كيف يستجيز من يؤمن بالله واليوم الآخر ان يذكر كلامه في جملة العلماء العاملين أو يصغى إلى شبهات هؤلاء الغالين . وأما دعوى هؤلاء الملاحدة ان خاتم الاولياء هو افضلهم كما ان خاتم الرسل افضلهم بل يزعم ابن عربي ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الرسل لأن خاتم الاولياء يأخذ عن الله بلا واسطة وخاتم الرسل إنما يأخذ عن الملك فقد ذكر شيخ الاسلام ان خاتم الاولياء كلمة لا حقيقة لفضلها ومرتبتها وانما تكلم ابو عبدالله الترمذي بشيء من ذلك ولم يستند فيه الى شيء ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن يبقى ويكون بذلك خاتم الاولياء وليس ذلك افضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سابقهم واقربهم الى الرسول وهو ابو بكر ثم عمر اذ الاولياء يستفيدون من الانبياء فأقربهم الى الرسول افضل بخلاف خاتم الرسل فان الله اكرمه بالرسالة ولم يحله على غيره فقياس احد اللفظين على الآخر في وجوب كونه افضل من افسد القياس ، وقال ايضاً :

فصل

وقد اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر اولياء الله تعالى على ان الانبياء افضل من الاولياء الذين ليسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم اربع مراتب فقال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) وفي الحديث (ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر) وافضل الامم امة محمد ﷺ قال تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس) وقال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في المسند (انتم توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله) وافضل امة محمد القرن الاول وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه انه قال خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه وفي الصحيحين ايضاً ﷺ انه قال (لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار افضل من سائر الصحابة قال تعالى (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه والسابقون الاولون الذين انفقوا من قبل الفتح وقاتلوا) والمراد بالفتح صلح الحديبية فانه كان اول فتح مكة وفيه انزل الله (انا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالوا يا رسول الله او فتح هو ؟ قال نعم ؛ وافضل السابقين الاولين الخلفاء الاربعة وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الامة وجماهيرها وقد دلت على ذلك دلائل بسطناها في منهاج اهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، وبالجملة اتفق طوائف السنة والشيعة على ان افضل هذه الامة بعد نبيها واحد من الخلفاء ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة وافضل اولياء الله تعالى اعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعاً له كالصحابة الذين هم اكمل الامة في معرفة دينه واتباعه وابو بكر الصديق اكمل معرفة بما جاء به وعملا به فهو افضل اولياء الله اذا كانت امة محمد ﷺ افضل الامم وافضلها اصحاب محمد ﷺ وافضلهم ابو بكر رضي

الله عنه ، وقد ظن طائفة غالطة ان خاتم الاولياء افضل الاوليـاء قياسا على خاتم الانبياء ولم يتكلم احد من المشائخ المتقدمين بخاتم الاولياء الا محمـد بن علي الحكيم الترمذي ، فانه صنف مصنفاً غلط فيه في مواضع ثم صار طائفـة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم انه خاتم الاولياء ومنهم من يدعي ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من جهة العلم بالله وان الانبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكيـة وكتاب الفصوص فخالف الشرع والعقل مع مخالفتـه جميع انبياء الله تعالى واوليائه كما يقال لمن قال فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن وذلك ان الانبياء افضل في الزمان من اولياء هذه الامة والانبيـاء انما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ويدعى انه خاتم الاوليـاء وليس آخر الاولياء وليس آخر الاولياء افضلهم كما ان آخر الانبياء افضلهم فان فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك كقوله ﷺ « انا سيد ولد آدم ولا فخر » كقوله « آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فأقول محمد فيقول كما امرت ان لا افتح لاحد قبلك » وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الانبياء كلهم فكان أحقهم بقوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) الى غير ذلك من الدلائل كل منهم يأتيـه الوحي من الله لا سيما محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجاً الى غيره فلم تحتج شريعته الى سابق ولا الى لاحق بخلاف المسيح احالهم في اكثر الشريعة على التوراة وجاء المسيح فكملها ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوات المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور وتمام الاربع وعشرين نبوة وكان الامم قبلنا محتاجين الى محدثين بخلاف امة محمد ﷺ فان الله اغناهم فلم يحتاجوا معـه الى نبي ولا الى محدث بل جمع له من الفضائل والمعارف والاعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الانبياء فكان ما فضله به من بما انزله اليه وارسله اليه لا بتوسط بشر وهذا بخلاف الاولياء فان كل من بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون ولياً لله الا باتباع محمد ﷺ وكلما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمـد

ﷺ وكذلك من بلغه رسالة رسول اليه لا يكون ولياً لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذي ارسل اليه ومن ادعى من الاولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من ان له طريقاً الى الله لا يحتاج فيه الى محمد فهذا كافر ملحد واذا قال انا محتاج الى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن او في علم الشريعة دون علم الحقيقة فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان محمد رسول الى الاميين دون اهل الكتاب فأن اولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفاراً بذلك وكذلك الذي يقول ان محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن الذي هو علم ايمان القلوب ومعارفها واحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة وهذا شرف من العلم بمجرد اعمال الاسلام الظاهرة فاذا ادعى المدعى ان محمد ﷺ انما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الايمان وانه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة فقد ادعى ان بعض الذي امن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر وهذا ممن يقول أؤمن ببعض وأكفر ببعض ولا يدعي ان هذا البعض الذي آمن به ادنى القسمين وهؤلاء الملاحدة يدعون ان الولاية افضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته افضل من نبوته ويستبدون :

مقـام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي !

ويقولون : شاركناه في ولايته التي هي اعظم من رسالته وهذا من اعظم ضلالهم فان ولاية محمد لم يماثله فيها احد لا ابراهيم ولا موسى فضلا ان يماثله فيها هؤلاء الملحدون وكل رسول نبي ولي فالرسول نبي ولي ورسالته متضمنة لنبوته ونبوته متضمنة لولايته واذا قدروا مجرد انبياء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فانه حال انبائه اياه ممتنع ان يكون الاولياء لله ولا تكون مجردة عن ولايته ولو قدرت مجردة لم يكن احد مماثلا للرسول في ولايته الى ان قال وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبرائيل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ والخيال تابع للعقل فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا انهم اولياء الله وان اولياء الله افضل من

انبياء الله وانهم يأخذون عن الله بلا واسطة كابن عربي صاحب الفتوحات والفصوص ، فقال : انه يأخذ من المعدن الذي اخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسول والمعدن عنده هو العقل والملك هو الخيال والخيال تابع للعقل وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو اصل الخيال والرسول يأخذ على الخيال فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ولو كان خاصة النبي ما ذكروه ولم يكن هو من جنسه ، فضلا عن ان يكون فوقه فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين والنبوة امر وراء ذلك فان ابن عربي وامثاله وان ادعوا انهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ليسوا من صوفية اهل العلم فضلا عن ان يكونوا من مشائخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل بن عياض وابراهيم بن ادهم وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل ابن عبدالله التستري وأمثالهم راضون الله تعالى عليهم أجمعين الى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

فصل

واما قول الملحد : ولذا أنشد القطب الكبير سيدي محمد بن ابي الحسن البكري المصري : —

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها يعلم هذا كل من يعقل
فعذبه من كل ما تشتكي فهو شفيع دائماً يقبل
ولذ به في كل ما ترتجي فانه المأمن والمعقل
وحط احمال الرجا عنده فانه المرجع والموئل
وناده ان ازمة انشبت أظفارها واستحكم المعضل
يا اكرم الخلق على ربه وخير من فيهم به يسأل

قد مسني الكرب وكم مرة فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذي فضلك بين الورى برتبة عنها العلا تنزل
عجل باذهاب الذي اشتكي فان توقفت فمن اسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى ولست ادري ما الذي افعل
وان ترى اعجز مني فما لشدة اقوى ولا احمل
وانت باب الله اي امرىء أتاه من غيرك لا يدخل
عليك صلى الله ما صافحت زهر الروابي نسمة شمأل
مسلماً ما فاح عطر الحمى وطاب منه الند والمندل
والآل والأصحاب ما غردت ساجعة املودها مخضل

والجواب ان اقول : —

اقول هذا كله لا يعقل ولا له في الشرع أصل منزل
إلا اكاذيب رواها عصبة مرفوضة اقوالهم لا تنقل
بل كلها موضوعة مكذوبة والطعن فيها كلها مستعمل
بل الذي في الشرع ان المصطفى محمداً رسوله والافضل
مختاره من خلقه وانه الى جميع الخلق حقاً مرسل
وانه للناس فيما بينهم وبين ربي بالهدى يفصل
واسطة بوحيه يهديهموا بما به الله الكريم ينزل
فمن يقول انه اصل لهذا الخلق طراً اوه لما قد ينزل
من رحمة من ربنا سبحانه في الملك والملكوت اوما يرسل
إلا وهذا المصطفى اصل لها من كل ما يختص او ما يشمل
فقد اتى بفرية معلومة بل ليس هذا في العقول يعقل
فاليتنا باية من قال ذا او سنة محفوظة لا تجهل
وقد أتى من بعد هذا كله بمنكر لا يرتضيه الكمل
بانه معاذُ من يشكو له افّ لما قد قاله ذا المبطل
او انه من غير اذن شافع فهو شفيع سرمدياً يقبل

وانه الملاذ فيما يرتجى ... وانه الكهف المنيع المعقل
وانه محط احمال الرجا ... لانه الرجعي له والموئل
وان ينادي ان المت ازمة ... وانشبت اظفارها لا تمهل
فهذا كله شرك بـه ... سبحانه عما يقول المبطل
فهو المنادي وحده سبحانه ... وهو الملاذ المرتجى والموئل
وهو المعاذ وحده ان ازمة ... أو كربة تعدو لنا او تنزل
لا عبده المعصوم فهو المجتبي ... وهو المطاع امره لا يهمل
لكننا لا ندع الا ربنـا ... في كل ما نرجوه وما نأمل
ما مس عبد كربة أو نابه ... من نائبات الدهر مما يعضل
إلا وربي فراج لهـا ... لا عبده ان كنت ممن يعقل
تالله ما هذا بقول يرتضى ... في المصطفى مما يقول المبطل
فالمشتكى لله لا للمصطفى ... وهو الذي ان لم يجب من نسأل
وهو الذي ان لم يعنا لم نطق ... حملا لعجزان دها ما يشغل
وهو الذي لا رب حق غيره ... وهو الرجا والملتجا والموئل
هذا الذي قالته وهابية ... والحق ما قالوه وهو الاكمل
وهو الصواب حقيقة اذ كله ... حق وتحقيق وامر يعقل
لا ما ادعاه الكسم او قاله ... من قددعوه القلب وهو الارذل
تالله ما هـذا بقطب الورى ... في دينهم بل كان ممن يجهل
بل كان قطب الكفر والشرك الذي ... اغوى به الشيطان من لا يعقل
فانبذه خلف الظهر لا تعبأ بما ... قد قاله هذا الغوى المبطل

فصل

قال الملحد : وفي الشفا للقاضي عياض قال : ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله ادب قوماً فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآيه ومدح قوماً

فقال (ان الذين يغضون أصواتهم) الاية وذم قوماً فقال (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية وحرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها ابو جعفر وقال : يا أبا عبدالله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله وفي نسخة فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية ، انتهى . والجواب ان يقال هذه الحكاية لا حجة فيها لمبطل لما سنذكره ان شاء الله تعالى ، قال الامام الحافظ ابو عبدالله محمد بن احمد بن عبد الهادي في الصارم المنكي قلت المعروف عن مالك انه لا يستقبل القبر عند الدعاء ، وهذه الحكاية الذي ذكرها القاضي عياض ورواها باسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه وقد ذكر المعترض في موضع من كتابه ان اسنادها اسناد جيد وهو مخطيء في هذا القول خطأً فاحشاً بل اسنادها اسناد ليس بجيد بل هو اسناد مظلم منقطع وهو مشتمل على من يتهم بالكذب وعلى من يجهل حاله وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع من مالك شيئاً ولم يلقه بل روايته عنه منقطعة غير متصلة وقد ظن المعترض انه ابو سفيان محمد بن حميد المعمري احد الثقاة المخرج لهم في صحيح مسلم قال فان الخطيب ذكره في الرواة عن مالك وقد اخطأ فيما ظنه خطأً فاحشاً ووهم وهماً قبيحاً الى ان قال : وأما محمد بن حميد الرازي فانه في طبقة الرواة عن المعمري كابي حنيفة وبن نمير وعمرو والناقد وغيرهم إلى أن قال : وقد تكلم في محمد بن حميد الرازي وهو الذي رويت عنه هذه الحكاية من غير واحد من الائمة ونسبه بعضهم الى الكذب . قال يعقوب بن شيبة السدوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير وقال البخاري حديثه فيه نظر وقال النسائي ليس بثقة وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني ردي المذهب غير ثقة وقال فضلك الرازي عندي عن ابن حميد خمسون الف حديث لا احدث عنه بحرف وقال ابو العباس احمد ابن محمد الازهري : سمعت اسحاق بن منصور يقول : اشهد على محمد بن حميد

وعبيد بن اسحاق العطار بين يدي الله انهما كذابان وقال صالح بن محمد الحافظ كان على ما بلغه من حديث سفيان يحيله على مهران وما بلغه من حديث منصور يحيله على عمرو بن قيس وما بلغه من حديث الاعمش يحيله على مثل هؤلاء وعلى عنبسة ، ثم قال : كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه وقال في موضع آخر كانت احاديثه تزيد وما رأيت أحداً أجرى على الله منه كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضهم على بعض وقال في موضع آخر : ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد الرازي كان يحفظ حديثه كله وكان حديثه كل يوم يزيد ثم أطال الحافظ الكلام فيه الى ان قال : فاذا كانت هذه حال محمد بن حميد الرازي عند ائمة هذا الشأن فكيف يقال في حكايةرواتها منقطعة أسنادها جيد مع أن في طريقها اليه من ليس بمعروف ، الى ان قال : فانظر هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها وجهالة بعض رواتها ونسبة بعضهم الى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في « اقتضاء الصراط المستقيم » في مخالفة اصحاب الجحيم : ولم يكن احـــد من السلف يأتي الى قبر نبي او غير نبي لاجل الدعاء عنده ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ ولا عند قبر غيره من الانبياء وانما كانوا يصلون ويسلمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه واتفق الائمة على انه اذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك واحمد وغيرهما : يستقبل قبره ويسلم عليه ، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي واظنه منصوصاً عنه ، وقال ابو حنيفة بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب اصحابه ، وقال مالك : فيما ذكره اسماعيل بن اسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهم لا أرى ان يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ولكن يسلم ويمضي ، وقال ايضاً في المبسوط : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج ان يقف على قبر النبي ﷺ ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، قيل له فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة

او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة فقال : لم يبلغني هذا عن احد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده وقد تقدم في ذلك من الآثار عن السلف والائمة ما يوافق هذا ويؤيده من انهم كانوا انما يستحبون عند قبره ما هو من جنس الدعاء له والتحية كالصلاة والسلام ويكرهون قصده للدعاء والوقوف عنده للدعاء من يرخص منهم في شيء من ذلك فانه انما يرخص فيما اذا سلم عليه ثم أراد الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة اما مستدبر القبر واما منحرفاً عنه وهو ان يستقبل القبلة ويدعو ولا يدعو مستقبل القبر وهكذا المنقول عن سائر الائمة ليس في ائمة المسلمين من استحب المرء ان يستقبل قبر النبي ويدعو عنده وهذا الذي ذكرناه عن مالك يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه وهي الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ قال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوماً فقال (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) الآية وذكر باقي الحكاية ثم قال فهذه الحكاية على هذا الوجه اما ان تكون ضعيفة او مغيرة واما ان تفسر بما يوافق مذهبه اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقاة من اصحابه فانه لا يختلف مذهبه انه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد نص على انه لا يقف عند الدعاء مطلقاً وذكر طائفة من اصحابه انه يدنو من القبر ويسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة ويوليه ظهره وقيل فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء ويشبه والله اعلم ان يكون مالك رحمه الله سأل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو يسمى ذلك دعاء فانه قد كان من فقهاء العراق من يرى انه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضاً ومالك يرى استقبال القبر في هذا الحال كما تقدم وكما قال في رواية

وهب عنه اذا سلم على النبي ﷺ يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده وقد تقدم قوله انه يصلي عليه ويدعو له ومعلوم ان الصلاة عليه والدعاء له توجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وارجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة) فقول مالك في هذه الحكاية ان كان ثابتاً عنه معناه انك اذا استقبلته وصليت عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الامم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعله ما يشفع به له يوم القيامة كسؤال الله تعالى له بالوسيلة ونحو ذلك وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب اذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم يعني دعاء للنبي ﷺ وصاحبيه فهذا هو الدعاء المشروع هناك كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فانه احق الناس ان يصلي عليه ويسلم عليه ويدعى له بأبي هو وأمي ﷺ وبهذا تتفق أقوال مالك ويفرق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر انه بدعة ، وأما الحكاية في تلاوة مالك (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم) الآية فهو والله اعلم باطل فان هذا لم يذكره احد من الائمة فيما اعلم ولم يذكر احد منهم أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استغلالاً ولا غيره وكلامه المنصوص عنه وأمثاله ينافي هذا . انتهى . وقد تقدم الجواب على هذه الآية . واما قول هذا الملحد : والمراد من قوله وحرمته ميتاً أي حال انتقاله الى البرزخ فلا ينافي ما تقدم انه حي في قبره ﷺ ، والجواب ان يقال : ليس هذا مراد مالك رحمه الله فانه امام عالم عربي فقيه ومن اعلم أهل زمانه بالحديث ومعانيه فانه حال حكايته مع المنصور لو ثبت لا يخاطب المنصور بحال انتقاله الى البرزخ بأنه ميت وانما يخاطبه حال الحكاية معه وقت المناظرة بعد وفاته بزمان طويل ان حرمته ميتاً في هذا الوقت أي

وقت المناظرة كحرمته في حال الحياة في غض الصوت عنده وعدم رفعه فما قاله مالك رحمه الله ينافي ما تقدم من الحكايات الموضوعة والاحاديث المكذوبة وما كان منها ضعيفاً فؤلف محرف من تحريفات هؤلاء الغلاة المارقين . واما حكايته عن شارح (نور الايضاح) فككلام غيره من المصنفين في الزيارة ممن لا يوثق به ولا يعتمد على قوله ونقله ، وليسوا من اهل الحديث المعروفين بالرواية والدراية والامانة وفيما نقلنا عن مالك وأصحابه وأبي حنيفة وأصحابه واحمد وأصحابه والشافعي وأصحابه ما يكفي ويشفي عن كلام هؤلاء وليس المراد باصحاب الائمة من نهجوا منهجهم واخذوا بمذهبهم وكانوا على طريقتهم في الاقوال والافعال والمآخذ من الاصول المنقولة المأثورة عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

فصل

قال الملحد : وفي الايضاح للنووي المؤلف في مناسك الحج على مذهب الامام الشافعي رحمه الله تعالى ما نصه: ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحبين له ، قال كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي ، فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك الى ربي ثم انشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ‏ ‏ فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ‏ ‏ فيه العفاف وفيه الجود والكرم
انت الشفيع الذي ترجى شفاعته ‏ ‏ على الصراط اذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا انساهما ابداً ‏ ‏ مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال ثم انصرف فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله ﷺ في النوم ، فقال يا عتبي الحق الاعرابي وبشره بان الله قد غفر له . انتهى . والجواب ان يقال : هذه الحكاية على تسليم صحتها ليس فيها دليل شرعي يجب المصير اليه عند اهل

العلم والايمان فقد ذكر العلماء الادلة الشرعية وحصروها وليس احـــد منهم استدل على الاحكام برؤيا آحاد الامة لا سيما اذا تجردت عما يعضدهـــا من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله : وهذه القصة ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء ولم يذكرها غيرهم ممن يعتد به ويقتدى به كالائمة المتبوعين واكابر أصحابهم وأهـــل الوجوه في مذاهبهم كأشهب وابن القاسم وسحنون وابن وهب وعبد الملك وابنه والقاضي اسماعيل من المالكية ولا من الشافعية كالمزني والبويطي وابن عبد الحكم ومن بعدهم كابن خزيمة وابن سريج وأمثالهم ونظرائهم من اهل الوجوه وكأبي يوسف من أصحاب ابي حنيفة ومحمد بن الحسن اللؤلؤي وزفر بن الهذيل ومن بعدهم كالطحاوى حامل لواء المذهب وكذلك أصحاب احمد وأصحاب الوجوه في مذهبه لم يذكرها احد منهم كعبدالله وصالح والخلال والاثرم وابي بكر عبد العزيز والمروذي وابي الخطاب ومن بعدهم كابن عقيل وابن بطة ، وبعض من ذكر هذه الحكاية يرويها بلا إسناد وبعضها عن محمـــد بن حرب الهلالي وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن ابى الحسن الزعفراني عن الاعرابي ، وقد ذكرها البيهقي باسناد مظلم عن محمد بن الروح بن يزيد البصري حدثـــني ابو حرب الهلالي قال : حج اعرابي فذكر نحو ما تقدم ووضع لها بعض الكذابين اسناداً الى علي ابن ابي طالب كما روى ابو الحسن علي بن ابراهيم بن عبدالله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي ، حدثنا احمد بن محمد بن الهيثم الطائي ، قال حدثنا ابي عن أبيه سلمة بن كهيل عن ابي صادق عن علي بن ابي طالب ، فذكر نحو ما تقدم قال الحافظ بن عبد الهادي : هذا الخبر منكر موضوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير اليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض ، والهيثم جد احمد بن محمد بن الهيثم اظنه بن عدي الطائي فان لم يكن هو فهو كذاب، متروك وإلا فمجهول وقال ابن عباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب ، وقـــال العجلي : وابو دواد كذاب وقال ابو حاتم الرازي النسائي الدولابي والازدي

متروك الحديث ، وقال السعدي ساقط قد كشف قناعه ، وقال ابو زرعة ليس بشيء ، وقال ابن عدي ما اقل ما له من المسند وانما هو صاحب اخبار واسمار ونسب وأشعار ، وقال الحكم ابو عبدالله الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقاة احاديثه منكرة ، وقال العباس بن محمد سمعت بعض أصحابنا يقول : قالت جارية الهيثم كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فاذا اصبح جلس يكذب ، فاذا كانت هذه الحكاية عند أهل العلم بهذه المثابة لم تثبت بسند يعول عليه ويحتج به ، قال الشيخ : ولو سلمنا ثبوت هذه الحكاية فلا دليل فيها على ما ذهب اليه هذا الاحمق من تجويز دعاء الانبياء والصالحين وطلب الحوائج منهم والاعراب لا يحتج بافعالهم ويجعلها دليلاً شرعياً إلا مصاب في عقله مفلس في فهمه وعلمه وكذلك نقل العتبي ومن مضى من رجال سندها ليسوا بشيء وقد تقدم ان أدلة الاحكام هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس المعتبر فيه خلاف وغير ذلك ليس من الأدلة في شيء ولم يأت عن احد من الائمة من عهد الصحابة الى آخر القرون المفضلة في هذا الباب ما يثبت لا طلب الاستغفار ولا غيره ، وقد تقدم عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى انه حكي الاجماع على منعه ، ولو فرض ان هذا الاعرابي قد غفر له فذلك ايضاً لا يدل على حسن حاله واسباب الكائنات لا يحصيها إلا الله تعالى ، وقد يستجاب لعباد الاصنام استدراجاً كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » ثم ليس في الحكاية انه سأل الرسول شيئاً غايته انه توسل به ومسألة التوسل بذاته ﷺ غير مسألة دعائه والاستغاثة به والطلب منه وقد قال تعالى (ومن يغفر الذنوب الا الله) فاذا كان هذا المختص بمغفرة الذنوب فكيف تطلب المغفرة من غيره تعالى وتقدس ، وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بما اغنى عن اعادته هنا ، وأما ما ذكره في (المستوعب) لأبي عبدالله السامري الحنبلي وفيه « اللهم انك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية » فنقول هذا من نمط ما قبله وقد تقدم الكلام عليه ، ثم قال

الملحد : وسأل العلامة الشهاب الرملي عن ما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد : يا شيخ فلان ونحو ذلك، فأجاب:بأن الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين جائزة وللرسل والانبياء والاولياء اغاثة بعد موتهم لان معجزة الانبياء وكرامة الاولياء لا تنقطع ، انتهى . فالجواب ان يقال : قد تقدم ان الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون وذكرنا فيما تقدم كلام ابي عبدالله القرشي احد مشائخ الطريقة انه قال استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق ، وعن ذالنون استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون ، وقال شيخ الاسلام رحمه الله في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد رسول الله ﷺ من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضاً من الاسلام لأسباب منها الغلو في بعض المشائخ بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثني وارزقني أو انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فهذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل ، فان الله سبحانه وتعالى انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ولا يدعي معه إله والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم او يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى ان يدعي احد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة انتهى . وقال أيضاً من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعاً نقله عن صاحب الفروع وصاحب الانصاف وصاحب الاقناع . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن انواعه - يعني الشرك - طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم

فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به او سأله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده وقد تقدم بتمامه وبالجملة فضابط هذا ان كل ما شرعه الله لعباده وامرهم به ففعله لله عبادة فاذا صرف العبد من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله (قل الله اعبد مخلصاً له ديني) . فاذا عرفت هذا فهذا الرجل المسمى الشهاب الرملي ان كان من المعروفين بالعلم لأني لا أعرف ما حاله فهو من جنس السبكي واضرابه الغالين الذين يصنفون في اباحة الشرك وجوازه زاعمين ان ذلك من تعظيم الرسول وتعظيم الانبياء والاولياء وذلك لجهلهم وعدم ادراكهم لحقائق الدين ومدارك الاحكام وليس لهم قدم صدق في العالمين ولا كانوا من العلماء العاملين فلا حجـــة في اقوالهم (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) ثم لو كان الشهاب الرملي من أهل الفضل والعلم والعبادة واكابر أهل الفقه والورع والزهادة لكان قد اخطأ فيما قاله واراده ودعا الى عبادة غير الله وهذا يوجب كفره وارتداده، واما معجزات الانبياء وكرامة الاولياء فهي لا تدل على دعائهم ولا الاستغاثة بهم وصرف خالص حق الله لهم وانما تدل على علو درجتهم وكرامتهم على الله وقربهم منه ، وقد قال ﷺ لما طلب الصحابة رضي الله عنهم من النبي ان يغيثهم من المنافق الذي آذاهم : انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وهؤلاء الغلاة لا يأتمرون بما امر الله به ورسوله ولا ينتهون عما نهى الله عنـــه ورسوله فالله المستعان .

فصل

قال الملحد : وروي عن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه قال : اللهم انا نستسقيك بعم نبيك ﷺ ونستشفع اليك بشيبته فسقوا وفي ذلك يقول عباس

ابن عتبة ابن ابي لهب : —

بعمي سقا الله الحجاز واهله عشيـــة يستسقي بشيبته عمر

والجواب ان يقال : هذا الحديث الذي ذكره عن ابن عباس لم يذكره بأسناده ولم يعزه الى شيء من الكتب المعتمدة وفيه الفاظ مخالفة للاخبـــار الصحيحة فلا اعتماد على ما ذكره والمحفوظ المعتمد عليه ما ذكره البخاري في صحيحه عن أنس ان عمر استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، وقال : اللهم انا كنا إذا أجد بنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، قلت : وقد ورد في بعض الالفاظ : قم يا عباس فادع الله فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته وهو انهم يتوسلون بدعائه وشفاعته فيدعو ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم ان يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء باهـل الخير والدين والافضل ان يكونوا من اهل بيت النبي ﷺ وقد استسقى معاويـة بيزيد بن الاسود الجرشي ، وقال اللهم انا نستسقي بيزيد بن الاسود : يا يزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى امطروا وذهب الناس ولم يذهب احد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا بـه ، واما قوله : وفي رواية للزبير بن بكار ان العباس رضي الله عنه قال في دعائه : وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك ﷺ فأسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الارض . انتهى . فأقول : قال الحافظ في الفتح : وقد بين الزبير بن بكار في الانساب صفة ما دعا به العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم انـه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس ، وقد اسقط هذا الملحد من هذا الاثر قوله : اللهم انه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف الا بتوبـة لعلمه انه يعود على مقصوده بالهدم وذلك انهم انما سئلوا به ليدعو لهم فاستكان

لله تعالى بالاعتراف وبالذنب وانهم قد اتوه تائبين منيبين ، وكذلك اسقط منه قوله : ونواصينا اليك بالتوبة ، وهذا توسل منه بهذا العمل الصالح وهو التوبة وعلى تقدير صحة هذا الاثر فلا دليل فيه على ما يتوهمه فان توسلهم بالعباس بدعاء حي يقدر على الدعاء وهذا لا محذور فيه وقد فعله أصحاب رسول الله ﷺ . وانما المحذور المنهي عنه دعاء الاموات والتوجه بهم والتوسل بهم وهذا لم ينقل عن احد من الصحابة ولا التابعين ولا الائمة المهديين والعلماء والراسخين ، واما قوله : وفي هذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً سواء كان في الاحياء وبالأموات وقول من منع ذلك بغير النبي ﷺ لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله ﷺ : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، رواه الامام احمد والترمذي .

فالجواب على هذا من وجوه الاول : أن في سنده خارجة بن عبدالله الانصاري وهو ضعيف ضعفه احمد ، الثاني : ان عمر استسقى بدعاء حي حاضر يقدر على الدعاء وليس في هذا ما يدل على الاستسقاء بالاموات ولو كان هذا جائزاً لما عدل الفاروق عن الاستسقاء بالنبي ﷺ الى الاستسقاء بالعباس الحي فالقياس باطل والتوهم تحكم ، الثالث : ان جعل الحق على لسان عمر وقلبه لا يستلزم كون فعله رضي الله عنه حجة ومن يدعيه فعليه البيان خصوصاً إذا خالفه غيره من الصحابة ، الرابع : ان المقصود ان الله تعالى اجرى الحق على لسان عمر رضي الله عنه في وقائع كما قال ابن عمر راوي الحديث ما نزل بالناس امر قط ، فقالوا فيه وقال فيه عمر الا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر ويقويه الحديث المتفق عليه عن انس وابن عمران قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى ? فنزلت « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو امرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجاً خيراً منكن) ونزلت كذلك إلى غير ذلك من الامور التي وافق فيها عمر كقصة أسارى بدر وقصة الصلاة

على المنافقين ، وجملة القول ان هذا الحديث على تقدير ثبوته ليس معناه الا ما روى في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لقد كان فيمن قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد فانـه عمر و) المحدث الملهم وقيل الرجل الصادق الظن وهو من القي في روعه شيء من قبـل الملأ الاعلى فيكون كالذي حدثه غيره به وقيل من يجري الصواب على لسانـــه من غير قصد وقيل المكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة وقيـل الملهم بالصواب الذي يلقي على فيه وعلى كل تقدير لا يحكم بما وقع للمحدث بل لا بد له من عرضه على الكتاب والسنة ومن ثم اجمع اهل السنة على ان الهام غير النبي ﷺ ليس بحجة وعلى هذا المعنى ينبغي ان يحمل حديث ابن عمر المذكور وليس الغرض ان الله جعل الحق في كل حادثة وواقعة على لسان عمر وقلبه وان فعله وقوله حجة شرعية وانه لا يقع منه خطأ قط وإلا لما خالفه ونازعه احد من الصحابة والتابعين من بعدهم من أهل الحديث والفقه والثاني باطل فان مخالفات الصحابة لعمر رضي الله عنه اكثر من ان يكتب في هذا المختصر وأشهر من أن يخفي على من له المام بكتب الحديث والاثر ثم كيف يصح القول بحجية فعـل عمر رضي الله عنه عموماً كما زعم هذا المؤلف فقد اخطأ عمر رضي الله عنه في مسائل منها عدم جواز التيمم عنده لمن أجنب فلم يجد الماء ومنها عدم جواز التمتع في الحج عنده ومنها قوله : ان المعتدة الثلاث السكني والنفقـه الى غير ذلك من الامور التي اخطأ فيها ومرجع فيها الى الصواب ، وكان الصديق رضي الله عنه يقومه في أشياء كثيرة كما قوّمه يوم صلح الحديبية ويوم موت النبي ﷺ بـل كان آحاد الناس يبين له الصواب فيرجع الى قوله كما راجعتـه امرأة في قوله « لئن بلغني ان احداً زاد صداقه على صداق ازواج النبي ﷺ وبناته الارددت الفضل في بيت المال » فقالت له امرأة : لم تحرمنا شيئاً أعطانا الله إياه ؟وقرأت قوله تعالى (وآتيتم احداهن قنطاراً) فرجع الى قولها وقال في لفظ آخر : الله اكبر أصابت امرأة وأخطأ عمر ، وأمثال هذا كثير ، اذا عرفت هـــذا فليس في قوله ﷺ : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه حجة على جواز

التوسل بالنبي والاستغاثة به بعد موته ﷺ ولا بأحد من الاموات والغائبين لا من الانبياء والاولياء ولا غيرهم من الصالحين غاية ما فيه ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ومن ذلك انه عدل عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته الى التوسل بدعاء العباس وهذا من الحق الذي جعل الله على لسان عمر وقلبه ، وسيأتي إيضاح هذا فيما بعد عن قريب إن شاء الله تعالى ، واما قول الملحد : ولا يقال فيه دليل على امتناع التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله لأن التوسل والاستسقاء بالنبي ﷺ كان معلوماً عندهم كما تقدم في القصة التي رواها ابن حنيف وكما في توسل آدم في الحديث المتقدم الذى رواه عمر رضي الله عنه وانما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم ان الاستسقاء بغير النبي ﷺ لا يجوز ، فالجواب ان نقول : قد تقدم الجواب عن هذا وانه لم يكن يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم من الائمة المقلدين ولذلك عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل به ﷺ الى التوسل بالعباس وقد ألهم الصواب لأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه . واما حديث الاعمى فليس فيه ما يدل على غيبته ﷺ وهو توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء وهذا كان هديهم وفعلهم في حياته ﷺ كما تقدم وأما بعد وفاته فلم يفعله احد من الصحابة رضي الله عنهم ، واما الذي حدثه عثمان بن حنيف فلم يخاطبه ولم يثبت ذلك في حديث الاعمى أعني مخاطبته ﷺ والذي رواه من أهل السنن المعتبرة لم يثبت مخاطبة الرسول بل هي ساقطة في الأصول المحررة ومسألة السؤال به أو بحقه غير مسألة نفسه ودعائه ، وأما الحديث الذي عزاه لعمر بن الخطاب بتوسل آدم بجاه محمد فهو حديث موضوع مكذوب باتفاق اهل العلم بالحديث ، وأما قوله وانما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم ان الاستسقاء بغير النبي ﷺ لا يجوز .

فالجواب ان يقال قد ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس رضي الله عنه قال : اللهم أنا كنا نتوسل اليك بنبيك ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم

نبينا فاسقنا فيسقون فانه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار جائز لما عدلوا الى غيره بل كانوا يقولون : اللهم انا نتوسل اليك بهم نبينا فاسقنا وحاشاهم ان يعدلوا عن التوسل بسيد الناس الى التوسل بعمه العباس وهم يجدون ادنى مساغ لذلك فعدولهم هذا مع انهم السابقون الاولون وهم اعلم منا بالله تعالى ورسوله ﷺ بحقوق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير وانزال الغيث بكل طريق دليل واضح على ان المشروع ما سلكوه دون غيره ، واما قوله وانما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم ان الاستسقاء بغير النبي لا يجوز ، فاقول فيه كلام من وجوه الاول : ان المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث انس رضي الله عنه هو الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع وهي ان يخرج من يستسقي به الى المصلي فيستسقي ويستقبل القبلة داعياً ويحوّل رداءه ويصلي ركعتين او نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح ، والدليل عليه قول عمر رضي الله عنه : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، ففي هذا القول دلالة واضحة على ان التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي ﷺ والتوسل بالنبي ﷺ لم يكن الا بأن يخرج ويستقبل القبلة ويحوّل رداءه ويصلي ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة في الاستسقاء ولم يرد في حديث ضعيف فضلاً عن الحسن والصحيح ان الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به ﷺ من غير ان يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا والدعاء والصلاة وغيرهما مما ثبت بالاحاديث الصحيحة ومن يدعي وروده فعليه الاثبات . إذا تمهد هذا فاعلم ان الاستسقاء والتوسل على الهيئة التي وردت في الصحاح من الاستسقاء لا يمكن إلا بالحي لا بالميت فالقول بامكان هذا الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته من ابطل الباطل وكان القول بانه لو استسقى بالنبي ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس أو يتوهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره بديهي البطلان فان ما ثبت

بفعله ﷺ هو مشروع لنا لقوله تعالى « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقوله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » ما لم يدل دليل على كونه مخصوصاً بالنبي ﷺ فلا مجال لهذا التوهم حتى يحتاج الى دفعه ، والثاني : أن المقصود لو كان دفع التوهم المذكور لكان أولى بأن يتوسل بحي غير النبي ﷺ في حياته أو بميت غير النبي ﷺ بعد وفاته أو بميت غير النبي ﷺ في حياته فان هذه الصور الثلاث ابعد من ان يبدو فيها الاحتمال الآتي من انه انما استسقى بالعباس لانه حي والنبي ﷺ قد مات وان الاستسقاء بغير الحي لا يجوز فلما ترك عمر رضي الله عنه تلك الصور واختار الصورة التي يتأتى فيها الاحتمال المذكور دل هذا الصنيع على ان مقصوده رضي الله عنه ليس دفع التوهم المذكور ، الثالث : ان توهم عدم جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ اخف من توهم عدم جواز الاستسقاء بالميت لا سيما اذا كان ذلك الميت غير النبي ﷺ فكان هذا التوهم اولى بالدفع ، فكان الانسب حينئذ ان يستسقي بميت غير النبي ﷺ . الرابع : ان هذا التعليل فاسد لان المعلل لم يقم عليه برهان ولا دليل . فلا يصغي اليه .

فصل

قال الملحد : وقد ذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب الامام ابي حنيفة في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي ايام هو ببغداد كان يتوسل بالامام ابي حنيفة رضي الله عنه يجيء الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى في قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام احمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبدالله من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن .

والجواب ان يقال لهذا الجاهل البليد كيف يثبت دين الله تعالى بمثل هذه الاقوال الكاسدة والشبه المعتلة الفاسدة . أيظن ان كل احد يروج عليه الباطل ويشتبه عليه العاطل ? كلا فان لله رجالا ينفون عن دينه زيغ المبطلين

وتحريف الملحدين . ثم ان هذه الحكاية من الكذب المعلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل والآثار فان الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الانبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين افضل من ابي حنيفة وامثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده ، ثم ان اصحاب ابي حنيفة الذين ادركوه مثل ابي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء عند قبر ابي حنيفة ولا غيره ، ثم أن الشافعي قد صرح في بعض كتبه بكراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها وانما يصنع هذه الحكايات من نقل علمه ودينه وأما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة احاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت فكيف بالمنقول عن غيره ثم هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بان الرسول لم يشرعها وتركه مع قيام المقتضي بمنزلة فعله وانما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الانبياء النصارى وامثالهم وانما المتبع في إثبات احكام الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين الاولين لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الاصول الثلاثة نصاً واستنباطاً بحال ، واما قوله : وقد تثبت توسل الامام أحمد بالشافعي فهو من نمط ما قبله مما يعلم كل عاقل بالضرورة انه من الكذب بل لا بد من رفع هذه الامور الى أصحابها بسند يعتمد عليه ودونه لا يسمع ثم لو ثبت ذلك فافعالهم وتقريراتهم ليست من الحجة في شيء وحاشاهم من ذلك فهم أجل قدراً واعظم خطراً من ان تجري منهم هذه الامور وهي لم يفعلها احد من اصحاب رسول الله ﷺ ، وشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أجاب في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» عن مثل شبه هذا الملحد بوجهين مجمل ومفصل وقد اجاد فيها وأفاد وحيث ان ذلك مما لا يمكننا نقل جميعه فلا

بأس ان نذكر الجمل .

قال رحمه الله تعالى : اما الجمل فالنقض فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عند اوثانهم فيستجاب لهم احياناً كما يستجاب لهؤلاء احياناً وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة فان كان هذا وحده دليلا على ان الله يرضي ذلك ويحبه فليطرد الدليل وذلك كفر متناقض ثم انك تجد كثيراً من هؤلاء الذين يستغيثون عند نبي او غيره كل منهم قد اتخذ وثنا احسن به الظن بآخر وكل منهم يزعم ان قرينه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره ، فمن المحال اصابتهم جميعاً وموافقة بعضهم دون بعض تحكم وترجيح بلا مرجح والتدين بدينهم جميعاً جمع بين الاضداد فان اكثر هؤلاء انما يكون تأثيرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره وموافقتهم جميعاً فيما يثبتونه دون ما ينفونه يضعف التأثير على زعمهم فان الواحد اذا حسن الظن بالاجابة عند هذا ، وهذا لم يكن تأثره مثل تأثر الحسن الظن بواحد دون آخر وهذه كلها من خصائص الاوثان ثم قد استجيب لبلعام ابن باعورا في قوم موسى المؤمنين وسلبه الله تعالى الايمان ، والمشركون قد يستسقون فيسقون ويستنصرون فينصرون انتهى . وفيه كفاية لمن كشف الله عن بصيرته حجب الغفلة والله الهادي الى سواء السبيل .

فصل

قال الملحد : وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال : —

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم اعطى غدا بيدي اليمنى صحيفتي

انتهى ، من كتاب خلاصة الكلام مع بعض تقرير واختصار .

والجواب ان نقول : وهذا ايضاً من نمط ماقبله وفيه من الكلام كما فيماقبله وابن حجر المكي عامله الله بعدله من الغالين في الصالحين ومن الثالبين لائمة المسلمين الذين جردوا توحيد العبادة لله رب العالمين وجاهدوا في الله ولله من خرج عن سبيل (المؤمنين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) ومن كانت هذه حاله وهذه اقواله فحقيق ان لا يلتفت اليه وعلى تقدير ثبوته وصحته ان كان النقل صحيحاً ان المضاف هنا مقدر تقديره ان حب آل محمد وتعظيمهم واتباعهم والصلاة عليهم ذريعتي ووسيلتي وكان في قوله : أرجو بهم ، أي أرجوا بحبهم وتعظيمهم واتباعهم ، واما قول هذا الملحد : فتحصل لنا من هذا جميعه انه يجوز التوسل بالنبي ﷺ قبل وجوده وفي حياته وبعد انتقاله وانه يصح التوسل بغيره ايضاً من الاحياء ، فاقول : اما التوسل به ﷺ قبل وجوده فمسند هؤلاء الغلاة فيه على حديث موضوع مكذوب كما بيناه فيما سبق واما في حياته ﷺ فقد بينا فيما تقدم ان ذلك بدعائه كما ذكرنا كلام اهل العلم بما اغنى عن اعادته واما بعد وفاته فقد بينا انه ليس من هدى الصحابة رضي الله عنهم وانهم لم يكونوا يفعلونه ولا نقل ذلك عنهم احد من العلماء الذين يعتد بهم ، واذا علمت هذا فقد قال النبي ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهورد) وفي رواية (من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وما ذكره هؤلاء المشبهون من الاحاديث في جواز ذلك فمنها ما هو موضوع ومنها ما هو معلول لا تقوم به الحجة ولا تثبت به الاحكام الشرعية وكذلك ما ذكر من الحكايات التي هي كالخيالات والخرافات التي يوردها اهل الشبهات هي كلها من الموضوعات المكذوبات والله الهادي الى الصواب ، واما قوله : وقد اجمع من يعتد باجماعه من المسلمين على ذلك ، فاقول : هذه دعوى مجردة ، وقوله : وهو مذهب الائمة الاربعة ، فاقول : وهذا ايضاً ابطل مما قبله فانه لم يذكر عن الائمة الاربعة الا هذه الحكايات الموضوعة المكذوبة التي وضعها بعض الغلاة في الصالحين وقوله : ومستندهم

الكتاب والسنة لما قدمنا والاجماع حجة قاطعة ، فاقول: هذا قول على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وعلى جميع العلماء بغير علم قال تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهذا الملحد لم يذكر من كتاب الله وسنة رسوله والاجماع القاطع ما يدل على ما توهمه بل هو عليه لا له ولا يعجز كل مبطل عن مثل هذه الدعوى فالله المستعان ، واذا كان هذا جميع ما تحصل له من ما مر حكايته عنه من القول القاسط والهذيان الساقط فيتعين ان نذكر من كلام اهل العلم ما يبطل دعواه ان مستنده كتاب الله وسنة رسوله والاجماع القاطع وما يترتب على ذلك من المفاسد .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

فصل

ثم ان في اتخاذ القبور اعيادا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها الا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى وغيرة التوحيد وتهجين وتقبيح للشرك ولكن ما لجرح بميت ايلام ، فمن مفاسد اتخاذها اعياداً : الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة اصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من انواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها اوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت الأصوات بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد اربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا نزلوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد

احرزوا من الأجر ولا اجر من صلى الى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعا وسجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا اكفهم خيبة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ويرتفع من الاصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذي الفاقات ومعافاة اولي العاهات والبليات ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم اخذوا في التقبيل والاستلام ارأيت الحجر الاسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ؟ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود الذي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم يهنىء بعضهم بعضا ، ويقول: اجز الله لنا ولكم اجرا وافرا وحظا ، فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين ان يبيع احدهم ثواب حجه القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام فيقول : لا واو بحجك كل عام هذا ولم نتجاوز ما حكينا عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالتهم اذ هي فوق ما يخطر بالبال او يدور في الخيال ، وهذا كان مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من شم ادنى رائحة من العلم والفقه يعلم ان من اهم الامور سد الذريعة الى هذا المحذور وان صاحب الشرع اعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول اليه واحكم في نهيه عنه وتوعده عليه وان الخير والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال في معصيته ومخالفته ، ورأيت لأبي عبد الله الوفاء بن عقيل في ذلك فصلا حسنا فذكرته بلفظه ، قال: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها لا نفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم ،قال: وهم عندي كفار مثل تعظيم القبور والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا أو كذا ، واخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر

اقتداء بن عبد اللات والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأموسة يوم الاربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق ابو بكر أو محمد وعلي او لم يعقده على قبر ابيه ازجا بالجص والآجر ولم يخرق ثيابه الى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر، انتهى. ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما امر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر مناقضا له بحيث لا يجتمعان ابدا فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبـــور وهؤلاء يصلون عندهـــا ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله تعالى ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف عـــلى ايقاد القناديل عليها ونهى ان يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذون اعيادا ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد او اكثر وامر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن ابي الهياج الاسدي، قال قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: ألا ابعثك عـلى ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا ادع تمثالاً الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته، وفي صحيحه أيضا عن ثمامة بن شفي قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض الروم برودس فتوفى صاحب لنا فامر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روي مسلم في صحيحه عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وان يقعد عليها وان يبني عليه بناء ونهى عن الكتابة عليها كما روي ابو داود في سننه عن جابر رضي الله عنـه ان رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور وان يكتب عليها قال الترمذى حديث حسن صحيح، وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روي ابو داود من حديث جابر ايضا ان رسول الله ﷺ نهى ان يجصص القبر او يكتب عليه او يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليـــه سوى التراب والآجر والاحجار والجص، ونهى عمر بن عبد العزيز ان يبنى القـــبر بآجر واوصى

ان ألا يفعل ذلك بقبره، واوصى الاسود بن يزيد ألا تجعلوا على قبري آجراً وقال ابراهيم النخعي : كانوا يكرهون الأجر على قبورهم واوصى ابو هريرة حين حضرته الوفاة : ان لا تضربوا على فسطاطا . وكره الامام احمد ان يضرب على القبر فسطاطا ، والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها اعياداً الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما امر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به واعظم ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر ، قال رحمه الله : وقد آل الامر بهؤلاء الضلال المشركين الى ان شرعوا للقبور حجا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه مناسك حج المشاهد مضاهاتاً منه بالقبور للبيت الحرام ، ولا يخفى ان هذا مفارقة لدين الاسلام ودخول في دين عباد الاصنام فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهى عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه ولا ريب ان في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره ، فمنها تعظيمها الموقع في الأفتتان بها ، ومنها اتخاذها عيدا ومنها السفر اليها ومنها مشابهة عباد الاصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها وعبادتها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها افضل من خدمة المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفي القناديل المعلق عليها ، ومنها النذر لها ولسدنتها ، ومنها اعتقاد المشركين بها ان بها يكشف البلاء وينصر على الاعداء ويستنزل غيث السماء ويفرج الكروب وتقضى الحوائج وينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير ذلك ، ومنها الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج عليها ، ومنها الشرك الاكبر الذي يفعل عندها ، ومنها ايذاء اصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة كما ان المسيح يكره ما تفعله النصارى عند قبورهم وكذلك غيره من الانبياء والاولياء والمشائخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم ويوم القيامة يتبرؤون منهم كما قال تعالى (ويوم يحشرهم وما

يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا) قال الله للمشركين (فقد كذبوكم بما تقولون) وقال تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق) الآية ، وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) ومنها مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها ، ومنها محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها ، ومنها التعب العظيم مع الوزر الكثير والاثم العظيم ، ومنها اماتة السنن واحياء البدع ، ومنها تفضيلها على خير البقاع واحبها الى الله فان عباد القبور يقصدونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ، ومنها ان ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد ، ودين الله الذي بعث به رسوله بضد ذلك ، ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد واخربوا المساجد ، ومنها ان الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت ، فقلب هؤلاء المشركون الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن الا محروماً به تركه ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له . ثم ذكر رحمه الله تعالى الزيارة الشرعية والأحاديث الواردة في ذلك ، ثم ذكر أقوال السلف ومن بعدهم من العلماء ثم قال : فاذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن اولى واحري

(فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ احساناً الى الميت واحساناً الى الزائر وتذكيراً بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو في العبادة وحضور القلب عندها وخشوع اعظم منه في المساجد واوقات الاسحار ، ومن المحال ان يكون دعاء الموتى والدعاء بهم او الدعاء عندهم مشروعاً وعملا صالحاً ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقها الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما يؤمرون فهذه سنة رسول الله ﷺ في اهل القبور بضعاً وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشراً على وجه الارض ان يأتي عن احد منهم بنقل صحيح او حسن او ضعيف او منقطع انهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا ان يصلوا عندها او يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على اثر واحد او حرف واحد في ذلك بل يمكنهم ان يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك اكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفاة ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك ، بلى فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه من الاحاديث المرفوعة .

قال رحمه الله بعد ذكره ما فعله الصحابة رضي الله عنهم بقبر دانيال وتعميته بين القبور قال : ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور اوثانا من لا يداني هذا ولا يقاربه واقاموا لها سدنة وجعلوها معابد اعظم من المساجد فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة او سنة او مباحاً لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علماً لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن

بعدهم ولكن كانوا اعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان راحوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور اصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا عنده ولا استشفى به ولا استنصر به ، ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه ، وحينئذ فلا يخلو إما ان يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها افضل منه في غير تلك البقعة او لا يكون فان كان افضل فكيف خفي علماً وعملاً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم وتظفر به الخلوف علماً وعملا ولا يجوز ان يعلموه ويزهدوا به مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فان المضطر يتشبث بكل سبب وان كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً فتعين القسم الآخر وهو انه لا فضل للدعاء عندها ولا هو مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة الى ما تقدم من المفاسد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ولا رسوله البته بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم ينزل بها سلطاناً وقد انكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير، ثم قال رحمه الله : ومن اعظم كيد الشيطان انه ينصب لاهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله ثم يوحي الى أوليائه ان من نهى عن عبادته واتخاذه عيداً وجعله وثناً فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرونه وذنبه عند أهل الاشراك امره بما امر الله به ورسوله ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله من جعله وثناً وعيداً وايقاد السرج عليها وبناء المساجد والقباب عليه وتجصيصه وتقبيله واستلامه ودعائه او الدعاء به او السفر اليه او الاستعانة به من دون الله مما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد لما بعث الله به رسوله من تجريد التوحيد لله وان لا يعبد الا الله فاذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون واشمأزت

قلوبهم ، وقالوا قد تنقص أهل الرتب العالية ، وزعم انهم لا حرمة لهم ولا قدر ، وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينسب الى العلم والدين ، حتى عادوا اهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس منهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا انهم هم اولياء الله وانصار دينه ورسوله ويأبى الله ذلك فما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون له الموافقون له العارفون بما جاء به الداعون اليه لا المتشبعون بما لم يعطوا لابسو ثياب الزور الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم ويبغونها عوجاً وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً، ثم ذكر كلاماً طويلا ، الى ان قال : قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب ابعدها عن الشرع ان يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس ، قال : وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت او الغائب كما قد يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين واهل الكتاب يدعو احدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان احياناً وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله . المرتبة الثانية : الا يسأل الله عز وجل به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين ، الثالثة : ان يسأله نفسه ، الرابعة : ان يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب او انه افضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه فهذا ايضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وماعلمت في ذلك نزاعاً بين ائمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان ترياق مجرب ، والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر ابي حنيفة من الكذب الظاهر . انتهى من اغاثة اللهفان.

فصل

قال الملحد : وقد روي الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ان الله لا يجمع امتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار ،

والجواب ان يقال : هذا الحديث رواه الترمذي في ابواب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا ان رسول الله ﷺ قال : ان الله لا يجمع أمتي — او قال أمة محمد — على ضلاله ويد الله على الجماعة ومن شذشذ في النار ، هذا الحديث غريب من هذا الوجه وسليمان المديني هو عندي سليمان بن سفيان قلت هذا حديث ضعيف ففي سنده سليمان بن سفيان ، قال الذهبي في الميزان : سليمان ابن سفيان ابو سفيان المدني عن عبدالله بن دينار وبلال بن يحيا قال ابن معين ليس بشيء وقال مرة ليس بثقة وكذا قال النسائي ، وقال ابو حاتم والدار قطني ضعيف انتهى ، والمقصود بالامة أمة الاجابة لا امة الدعوة وامته المستجيبون لدعوته المتبعون لأمره المنتهون عما نهى عنه الآخذون بسنته وهديه هم الأمة الناجون المنصورون الى قيام الساعة الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم بخلاف عباد القبور المتخذين الاولياء والصالحين شركاء في خالص حقه سبحانه يستغيثون بهم في الشدائد ويلجئون اليهم ويذبحون لهم وينذرون لهم ويستعينون بهم في قضاء الحوائج ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ويدعونهم ويرغبون اليهم في الطلبات ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فهؤلاء ليسوا من امة محمد ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة مخالفون لما عليه الامة من اهل السنة والجماعة مجمعون على الضلالة نعوذ بالله من موجبات غضبه واليم عقابه .

واما قول الملحد : وفي سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ابغوا السواد الاعظم فانه من شذشذ في النار ، فالجواب ان يقال : ان السواد الاعظم والجماعة هم من كانوا على مثل ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ لقوله ﷺ : افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا يارسول الله ومن هي ؟ قال من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي ، فمن كان على مثل ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ فهم السواد الاعظم وهم الجماعة وان كانوا قليلا يدل عليهم حديث عبدالله بن عمر

وقال : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل ، وفيه قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال ما انا عليه اليوم واصحابي ، رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن غريب مفسر ،وفي رواية عوف بن مالك قيل: يا رسول الله من هم ؟ قال الجماعة ، وفي رواية انس بن مالك كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة رواها ابن ماجة والاحاديث بعضها يفسر بعضاً فعلم ان السواد الاعظم هو الجماعة وهي جماعة الصحابة ولعله بهذا المعنى ، قال اسحق بن راهوية حين سئل عن معنى حديث « عليكم بالسواد الأعظم » : هو محمد بن أسلم وأتباعه فأطلق على محمد بن أسلم وأتباعه لفظ السواد الأعظم تشبيهاً لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها ولذا كان سفيان الثوري : يقول المراد بالسواد الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً كذا في (الميزان) للشعراني ، قال ملا سعد الرومي في مجالس الأبرار: فلا بد لك أن تكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن أتفق الجمهور فلا يغرنك اتفاقهم على ما أحدث بعد الصحابة بل ينبغي لك أن تكون حريصاً على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم فان أعلم الناس وأقربهم إلى الله تعالى أشبههم بهم وأعرفهم بطريقهم إذ منهم أخذ الدين وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع ، وقد جاء في الحديث «إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم » والمراد به لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف كثيراً لأن الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة ولا عبرة بالنظر الى كثرة الباطل بعدهم ، وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه الزم طريق الهدى ولا يغرك قلة السالكين واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين وقال بعض السلف اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة فلا تبال وان خالفت رأيك جميع الخليقة ، وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في «اغاثة اللهفان » فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً منفرد العبد في طريق

طلبه دليل على صدق طلبه ، ولقد سئل اسحق بن راهوية عن مسألة ، فأجاب عنها ، فقيل له ان أخاك احمد بن حنبل يقول فيها بمثل قولك ، فقال ما ظننت أن أحداً ان يوافقني عليها ولم يستوحش بعد ظهور النور له من عدم الموافق فان الحق إذا لاح وتبين لم يحتج الى شاهد يشهد به والقلب يبصر الحق كما نبصر العين الشمس فكيف يحتاج الى شاهد يشهد بطلوعها ويوافقه علية وما احسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب (الحوادث والبدع)حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ولا ينظر الي كثرة أهل الباطل بعدهم ، قال عمرو ابن ميمون الأزدي صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتي واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الايام وهو يقول : سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهى الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، فقلت يا أصحاب محمد ما أدرى ما تحدثونا قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضنى عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي النافلة ? قال ياعمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه اهل هـذه القرية تدري مما الجماعة قلت : قال إن جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك قال نعيم بن حماد يعنى اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ وعن الحسن قال السنة والذى لا إله الا هو بين الغالى والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقى الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتي لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله تعالى فكونوا وكان محمد بن أسلم الطوسي الامام المتفق على إمامته من اتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال : ما بلغتنى سنة عن رسول الله ﷺ الا عملت بها ولقد حرصت على أن أطوف

بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك وسأل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الاعظم الذين جاء فيهم الحديث « إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » من السواد الاعظم ؟ قال محمد بن اسلم الطوسي هو السواد الاعظم انتهى، وليعلم هنا أن محل وجوب السواد الاعظم الذي أريد منه جماعة الصحابة هو ما اختلف فيه الصحابة فذهب عامتهم وأكثرهم الى أمر والبعض الآخر الى خلافه بدليل لفظ الاختلاف فاذا اختلفوا فالصحيح ان الحق مع من كان الخلفاء الاربعة فيهم فان اختلفوا وكان أبو بكر وعمر مع طائفة فالحق معهم وكذلك إذا كان أحد الخلفاء في طائفة ولم يكن ابو بكر وعمر معهم فمن كان عثمان أو علي معه فهم أولى من غيرهم وأما ما أجمع عليه الصحابة فوجوب اتباعهم يعلم بفحوى الخطاب ، وأما ما اختلفوا فيه ولا يعلم كثرتهم في جانب فالحديث لا يدل على وجوب اتباعهم فيه وهذا كله فيما إذا لم يعارضه آية أو حديث مرفوع صحيح أو حسن لم يثبت نسخهما وأما اذا عارضته آية أو حديث فالحجة الكتاب والسنة واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وماذا بعد الحق إلا الضلال، والمقصود أن السواد الاعظم من هذه الامة من كانو على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في كل ما ينتحلونه ويفعلونه ويقولونه ، وقد علمت أنهم رضي الله عنهم ما كان أحد منهم يستغيث برسول الله ﷺ بعد وفاته ولا يدعونه ولا يلجئون اليه فيما ينوبهم ولا كان أحد منهم يأتي إلى قبره عليه الصلاة والسلام فيتوسل به ويدعو هناك أو يستغيث به ، وقد كان أعلم الناس بمثل هذه الامور مالك إمام دار الهجرة فانه مقيم بالمدينه يري ما يفعله التابعون وتابعوهم ويسمع ما ينقلون عن الصحابة وأكابر التابعين ، وهو ينهى عن الوقوف عند القبر للدعاء ويذكر أنه لم يفعله السلف والمقصود أن نقله هذا الملحد من جواز التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين من الاحاديث أنه إما كذب موضوع وإما ضعيف لا يقوم به حجة ولا تثبت به الاحكام الشرعية ، وكذلك ما نقله عن العلماء فهو من هذا النمط فما سلكه هذا الملحد مخالف لما كان عليه السلف الصالح والصدر الاول واتبع سبيل من خالفهم

ممن ابتدع في الدين واتبع غير سبيل المؤمنين وهؤلاء الاكثرون كما قال تعالى (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) فهؤلاء وإن كانوا هم الاكثرين فليسوا بالسواد الاعظم والجماعة المذكورين في الاحاديث النبوية بل السواد الاعظم والجماعة من كان على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ كالتابعين رضي الله عنهم والأئمة المهتدين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وإن كانوا قليلاً كما تقدم بيانه مفصلا موضحاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

ولنختم الجواب بالفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية ليعلم الناظر في هذه الاوراق أن هؤلاء الغلاة الجهال ما عرفوا من معنى (لا إله إلا الله) ما عرفه جهال الكفار الذين بعث الله فيهم رسوله محمداً ﷺ فان هؤلاء الغلاة يزعمون أن من قال لا إله إلا الله واقر أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الامور أنهم لا يقصدون بمن يدعونه ويستغيثون به ويلجأون اليه من الانبياء والاولياء والصالحين بذلك تأثير شيء منهم بايجاد نفع أو دفع ضر ولا يعتقدون ذلك البتة بل يعتقدون أن الله هو المنفرد بالايجاد والاعدام والنفع والضر وأنه لا مشارك له في ذلك وهذا هو اعتقاد جهال الكفار الذين بعث الله اليهم رسوله محمداً ﷺ فانهم كانوا يدعون الانبياء والملائكة والاولياء والصالحين ويلتجئون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفي كما حكي الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، إذا عرفت ما قدمت لك ، فاعلم أن التوحيد نوعان ، توحيد في المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الالهية والعبادة كما قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت

اليه الرسل وانزلت به الكتب فهو نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد فالأول هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وافعاله واسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده واثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد افصح القرآن عن هذا النوع حق الافصاح كما قال في اول الحديد وسورة طه وآخر الحشر واول تنزيل السجدة واول آل عمران وسورة الاخلاص بكمالها وغير ذلك . انتهى كلامه رحمه الله ، فاذا عرفت هذا تبين لك ان توحيد الربوبية هو توحيد العبد ربه سبحانه وتعالى بافعاله الصادرة منه كالخلق والرزق والاحياء والاماتة وانزال المطر وانبات النبات والنفع والضر وتدبير جميع الامور الى غير ذلك من افعال الرب سبحانه وتعالى ، وهذا هو اعتقاد جاهلية العرب فانهم كانوا مقرين ومعترفين ان الله هو الفاعل لهذه الاشياء وانه لا مشارك له في ايجاد شيء واعدامه وان النفع والضر بيده وانه هو رب كل شيء ومليكه كما كانوا يقولون في تلبيتهم (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) ولا يعتقدون ان آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الانبياء والاولياء الصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض او أستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات كما حكي الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون ، قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تعقلون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله

مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وقال تعالى (افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون) وقال تعالى (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) الآية وحكي عن اهل النار انهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم انهم ماسووهم به في الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات ، فاذا عرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام وان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بهم هو الذي احل دماءهم واموالهم عرفت ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل وابى عن الاقرار به المشركون هو توحيد الالوهية والعبادة كما قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وقال تعالى عن كفار قريش (اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) وهذه الآية نزلت حين اجتمعت سراة قريش عند ابي طالب قائلين : اقض بيننا وبين ابن اخيك بان يرفض ذكر آلهتنا وندده والهه فاجاب عليه الصلاة والسلام بعدما جاء واخبره عمه عنهم : ياعم افلا ادعوهم الى كلمة واحدة يدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم ؟ فقال من بين القوم ابو جهل : ماهي لنعطينكها وعشر امثالها . فقال : قولوا لا اله الا الله فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وذلك قوله (وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد) فاذا تمهد هذا واتضح لك علمت انه لا ينجي من الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله إلا القيام بما دعت اليه الرسل وانزلت به الكتب من هذا النوع الآتي بيانه وهو توحيد الله تعالى بافعال العبد الصادرة منه لأن الاله هو الذي تألهه القلوب محبة واجلالاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً وخضوعاً وخشوعاً وانابة وتوكلا واستعانة واستغاثة

ودعاءً فهو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : النوع الثاني : ما تضمنته سورة (قل ايها الكافرون) وقوله تعالى(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) الآية واول سورة تنزيل الكتاب وآخرها واول سورة المؤمن ووسطها وآخرها واول سورة الأعراف وآخرها وجملة سورة الانعام وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية اليه فان القرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله واقواله فهو التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي واما امر ونهي والزام بطاعته وامره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك واهله وجزائهم . انتهى ، فاذا عرفت ان توحيد الربوبية هو الاقرار والاعتراف بان الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الامور وعرفت ان جهال الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ مقرون بهذا معترفون به ولم ينازع احد منهم في ذلك بل يعتقدون ان الله هو الفاعل لهذه الاشياء وانه لا ينفع ولا يضر الا الله وانه المنفرد بالايجاد والاعدام والتدبير والتأثير وانه لا مشارك له ولو في خلق ذرة من الذرات ولم يدخلهم ذلك في الاسلام بل قاتلهم رسول الله ﷺ الى ان يكون الدين كله لله فان يخلصوا العبادة ولا يشركوا معه في عبادته احد سواه فان من دعى الله ودعى معه غيره فهو مشرك فالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والانابة والخشوع والخضوع والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والالتجاء وغير ذلك من انواع العبادة التى اختص الله بها دون من سواه هي له سبحانه وتعالى فمن صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير ممن يدعوه ويرجوه او لم يعتقد ذلك فيه ، قال شيخ الاسلام

قدس الله روحه ، والتوحيد الذي جاء به الرسول انما يتضمن اثبات الآلهة لله وحده بان يشهد ألا إله إلا الله لا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا الله ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات قال تعالى : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال تعالى : (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إله واحد فاياي فارهبون) وقال تعالى : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال تعالى (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وآخر عن كل نبي من الانبياء انهم دعو الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له . وقال تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى عن المشركين (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركو إلهتنا لشاعر مجنون) وهذا في القرآن كثير ، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من اهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء انهم اذا اثبتوا ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية التوحيد وانهم اذا شهدوا هذا وفقوا في غاية التوحيد ، فان الرجل لو اقر بما يستحقه الرب من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه واقر بانه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدا حتى يشهد ان لا اله الا الله فيقر بان الله وحده هو الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له وانه هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الاختراع فاذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد ان هذا المعني هو اخص وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي يقولونه عن ابي الحسن واتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد

الذي بعث الله به رسوله ﷺ فان مشركي العرب كانوا مقرين بان وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى (ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون) الى قوله (فاني تسحرون) فليس كل من اقر بان الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه راجياً له خائفا منه دون ما سواه يوالي فيه ويعادي فيه ويسمع رسله ويأمر بما امر به وينهى عما نهى عنه وعامة المشركين اقروا بان الله خالق كل شيء واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له اندادا قال تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل او لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله سبحانه وتعالى (عما يشركون) قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقال تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعونها ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول : ان هذا ليس بشرك انما الشرك اذا اعتقدت انها المدبرة فاذا جعلتها سببا وواسطة لم اكن مشركا ، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان هذا شرك . انتهى كلامه ،وقال ايضا على قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) الآيات ، نفى الله عما سواه كلما يتعلق به المشركون فنفي ان يكون لغيره ملك او قسط منه او يكون عونا لله فلم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تنفع الا لمن اذن له الرب كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن واخبر النبي ﷺ انه

يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة اولاً ثم يقال ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، وقال له ابو هريرة: من اسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص بأذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله وحقيقته ان الله سبحانه هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا اثبت الشفاعة باذنه في مواضع وقد بين النبي ﷺ انها لا تكون الا لاهل التوحيد والاخلاص. انتهى ، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الابيات : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الاربع اما مالكا لما يريده عابده منه فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك.فان لم يكن شريكا للمالك كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى سبحانه المراتب الاربع نفيا مرتبا متنقلا من الاعلى الى الادنى فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقرآن مملوء من امثالها ونظائرها ولكن اكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً وهذا هو الذى حال بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم فتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك. انتهى كلامه رحمه الله ، فاذا تبين لك الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية عرفتم أن مشركي أهل زماننا لا يعرفون ما عرفه كفار العرب فان كفار العرب يعلمون أنهم إذا قالوا لا إله إلا الله فقد نفوا جميع المعبودات من دون الله وأثبتوا العبادة لله وحده لا شريك له دون سواه فأبوا عن النطق بلا إله إلا الله وعتوا عتواً كبيراً وأبي الظالمون إلا كفوراً فجحدوا لا إله إلا الله لفظاً ومعنى

ولذلك لما قال لهم رسول ﷺ (قولوا لا إله إلا الله) قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) وقال تعالى حاكياً عنهم (أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وهذا بخلاف ما عليه هؤلاء الغلاة الجهال فانهم يقولونها وهم مع ذلك يعبدون مع الله غيره ممن يشركونه في عبادته بالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والاستغاثة والاستعانة والذبح والنذور والالتجاء وطلب الشفاعة منهم إلى غير ذلك من أنواع العبادة فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلها وأشركه مع الله في خالص حقه سواء اعتقد التأثير والتدبير والايجاد والاعدام والنفع والضرر ممن يدعوه أو يرجوه أو لم يعتقد وإن فرّ من تسمية فعلة ذلك تألهاً وعبادة وشركا ، ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن حقائق الاشياء لا تتغير بتغير أسمائها فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها كتسمية عباد القبور عبادة غير الله توسلا وتشفعاً وتعظيما للصالحين وتوقيراً فالاعتبار بحقائق الامور لا بالاسماء والاصطلاحات والحكم يدور مع الحقيقة لا مع الاسماء فاذا تحققت ما قدمت لك فلا بدّ من ذكر شيء يسير من كلام العلماء في معني لا إله إلا الله ، قال الوزير أبو المظفر في (الافصاح) قوله شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله ، كما قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) قال واسم الله مرتفع بعد إلا من حيث أنه الواجب له الالهية فلا يستحقها غيره سبحانه قال : وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والايمان بالله فانك لما نفيت الآلهية وأثبت الايجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله وقال في « البدائع » رداً لقول من قال أن المستثني مخرج من النفي ، قال : بل هو مخرج من المنفي وحكمه فلا يكون داخلا في النفي إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الاسلام بقول لا إله إلا الله لأنه لم يثبت الالهية لله تعالى ، وهذه أعظم كلمة تضمنت نفي الآلهة عما سوى الله وإثباتها له تعالى بوصف الاختصاص فدلالتها على إثبات الهيته أعظم من دلالة

قولنا الله إله ولا يستريب احد في هـذه البتة انتهى بمعناه ، وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره لا إله إلا الله : أي لا معبود إلا هو ، وقال الزمخشري : الاله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق ، قال شيخ الاسلام : الالههو المعبود المطاع فان الاله هو المألوه والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع قال فان الاله هو المحبوب المعبود الذى تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه وليس إلا الله وحده ولهذا كانت لا إله إلا الله أصدق الكلام وكان أهلها أهل الله وحزبه والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته فاذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وقال ابن القيم رحمه الله : الاله الذى تألهه القلوب محبة وإجلالا وإنابة وإكراماً وتعظيما وذلا وخضوعاً وخوفاً ورجاءاً وتوكلا ، وقال ابن رجب رحمه الله : الاله هو الذي يطاع فلا يعصي هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلا عليه وسؤاء لأمنه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا الله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الامور التى هى من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله وكان فيـــه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وقال البقاعي : لا إله إلا الله أي انتفاء عظيما أن يكون معبوداً بحق غير الملك الأعظم فان هذا العلم هو أعظم الذكري المنجية من أهوال الساعة وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً وإنمـا يكون نافعاً إذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل صرف ، وقال الطيبي : الاله فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب من اله آلهة أي عبـــد عبادة ، قال الشيخ سليمان ابن عبد الله رحمه الله وهذا كثير في كلام العلماء وإجماع منهم فدلت لا إله إلا الله على نفي الآلهية عن كل ما سوى الله تعالى كائنا من كان واثبات الالهية لله وحده دون كل ما سواه وهذا هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل ودل عليه

القرآن من أوله الى آخره كما قال تعالى عن الجن (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً واعتقد ذلك وقبله وعمل به . وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم في كلام العلماء أن هذا جهل صرف فهي حجة عليه بلا ريب فقوله في الحديث « وحده لا شريك له » تأكيد وبيان لمضمون معناها وقد أوضح الله ذلك وبينه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين فما أجهل عباد القبور بحالهم وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » فان مشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلا الله لفظاً ومعنى وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظاً وجحدوها معنى فتجد احدهم يقولها لفظاً وهو يأله غير الله بأنواع العبادة كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب فان أحدهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى ويعتقد أنه أسرع فرجاً لهم من الله بخلاف حال المشركين الاولين فانهم يشركون في الرخاء وأما في الشدة فانما يخلصون لله وحده كما قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) الآية فبهذا تبين أن مشركي أهل هذه الازمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم . انتهى . وقال الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين في معنى الاله قال : وأما الاله فهو الذي تأله القلوب بالمحبة والخشوع والخوف والرجاء وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذور والسجود وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة فهو إله بمعنى مألوه أي معبود وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الآله قال الجوهري : اله بالفتح آلهة أي عبد عبادة قال ومنه قولنا (الله) وأصله لاه على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه بمعنى معبود كقولنا إمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به قال والتأليه التعبيد والتأله التنسك والتعبد قال روبة سبحن واسترجعن من تأله . انتهى . وقال في (القاموس) : اله آلهة وألوهة

عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه علي عشرين قولا يعني لفظ الجلالة قال : وأصله إلآه بمعنى مألوه وكلما اتخذ معبوداً له عند متخذه قال : والتأله والتنسك والتعبد ، انتهى ، وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بأنه المعبود وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الاله هـو القـادر على الاختراع وهـــذه ذلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصـــوره العامي العاقل تبين له بطلانه وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حـكاه الله عن المشركين في مواضـــع من كتابه ولم يعـــلم ان مشركي العرب وغيرهم يقرون بان الله هو القـادر عـــلى الأختراع وهم مع ذلك مشركون ومن ابعد الاشياء ان عاقـــلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقو بمعناها ويعترف به ليلا ونهاراً واسرار وجهاراً هـــذا ما لا يفعله من له ادنى مسكة من عقل . قال ابو عباس رحمه الله تعـــالى : وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع كما ظنـــه من ظنه من ائمـــة المتكلمين حيث ظن ان الالوهية هي القدرة على الاخـــتراع وان من اقر بان الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد ان لا اله الا الله فان المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد كما قال تعـــالى : (ولئن سألتهم من خلـــق السموات والارض ليقولن الله ، وقال تعالى : قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل افلا تذكرون) الآيات ، وقال تعالى (ومـا يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الأيات ، وقـال ابن عباس : تسألهم من خلق السموات والارض ، فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره ، وهذا التوحيد من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب ولا يخلص بمجرده عن الاشراك الذي هو اكبر الكبائر الذي لا يغفره الله بل لا بد ان يخلص لله الدين فلا يعبد إلا اياه فيكون دينه لله ، والاله هو المألوه الذي تألهه القلوب فهو اله بمعنى مألوه لا بمعنى اله انتهى . وقد دل صريح القرآن على معنى الا له وانه هو المعبود كما في قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال المفسرون : هي كلمة التوحيد

« لا اله الا الله » باقية في عقبه اي ذريته ، قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده ، والمعنى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية ابراهيم يتوارثها الأنبياء واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة لا اله الا الله فتبين ان موالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه هو معنى « لا اله إلا الله » .

إذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئاً من انواع العبادة المتقدم تعريفها كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك فقد عبد ذلك الغير واتخذه الهاً واشراكه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألها وعبادة وشركاه ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغيير اسمائها فلو سمي الزناء والوباء والخمر بغير اسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زناء ورباء وخمراً ونحو ذلك فمن المعلوم ان الشرك انما حرم لقبحه في نفسه وكونه متضمنا مسبة الرب وتنقصه وتشبيهه بالمخلوقين فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمائها كتسميته توسلا وتشفعا وتعظيما للصالحين وتوقيراً لهم ونحو ذلك ، فالمشرك مشرك شاء أم ابى وقد اخبر النبي ﷺ ان طائفة من امته يستحلون الربا بأسم البيع ويستحلون الخمر باسم اخر غير اسمها وذمهم على ذلك فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع العلة لم يستحق الذم ، وهذا من اعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديما وحديثاً اخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم وغير اسمه بتسميته اياه توسلا ، وتشفعاً ، ونحو ذلك ، والله الهادي الى سواء السبيل انتهى .

فلا بد في شهادة ان لا اله إلا الله من ان يكون المتكلم بها عارفاً لمعناها عاملا بمقتضاها باطناً وظاهراً ولا بد من العلم واليقين بمدلولها كما قال تعالى : (فاعلم انه لاإله الله) وقوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون). اماالنطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولاعمل بما تقتضيه من نفي الشرك واخلاص القول والعمل قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالاجماع قال في المفهم على صحيح مسلم باب لا يكفي بمجرد اللفظ بالشهادتين بل لا بد من استيقان القلب هذه الترجمة تنبيه

على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الايمان واحاديث هذا الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ولأنه يلزم من تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالايمان الصحيح وهو باطل قطعاً انتهى . ومعنى « لاإله إلا الله » أى لا معبود حق إلا الله وهو في غير موضع من القرآن قال تعالى (وإلهكم إله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقال (والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) فأجابوا رداً عليه بقولهم (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) وقال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل) الآية فتضمن ذلك نفى الالهية عما سوى الله وهي العبادة وإثباتها لله وحده لاشريك له والقرآن من أوله الى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد اليه فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهبا وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد جعله لله نداً فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين .

تم بحمد الله